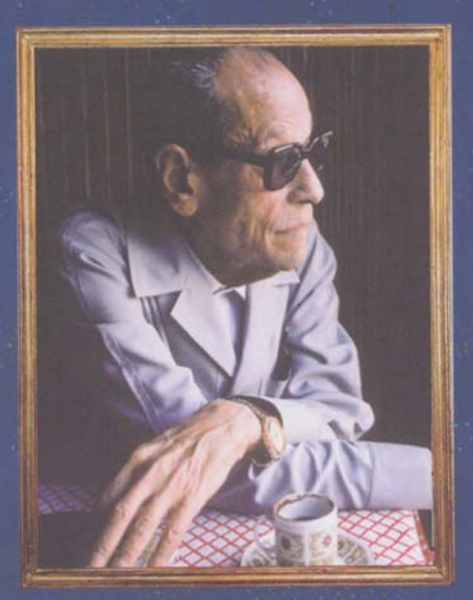
نجيب محفوظ

أحلام فترة النقاهة

الأحلام الأخيرة



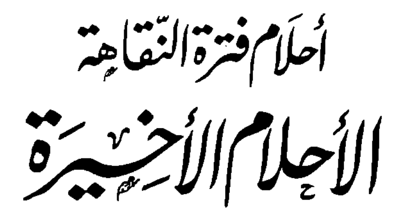
@ketab_n
Follow Me
22.3.2017

دار الشروق

نجيب محفوظ

أحلام فترة النقاهة
الأحلام الأخيرة

دار الشروق


أحلام فترة النقاهة
الأحلام الأخيرة

أحلام فترة النقاهة

الأحلام الأخيرة

نجيب محفوظ

الطبعة الأولى ٢٠١٥

تصنيف الكتاب: أدب / مجموعة قصصية

٨ شارع سيبويه المصري
مدينة نصر - القاهرة - مصر
تليفون: ٢٤٠٢٣٣٩٩
www.shorouk.com

رقم الإيداع ٢٠١٥/١٧٦٦٨
ISBN 978-977-09-3358-9

قصة هذا الكتاب

بعـد ظهر يـوم الثلاثاء الخامس من شــهر مايـو ٢٠١٥ اتصلتْ ابنتا نجيب محفوظ؛ فاطمة وأم كلثوم، بدار الشـروق لتزفا لنا بكل رِقـة وتواضـع مخفوظي خبرًا سـعيدًا: «لقـد وجدنا أوراقًا تشـمل مخطوطـات لـ«أحـلام فتـرة النقاهـة» بخط الحاج صبـري، نرجو التأكد أنها لم تُنشر من قبل».

أدركنـا أننا قد نكـون أمام كنز أدبي وثروة ثقافية يُكشـف عنهما بعد ٩ سـنوات من وفـاة أديبنا العالمي، ومفاجـأة روائية تضع حلًّا سـعيدًا للّغـز الذي حيرَنـا وأصفياءه لسـنوات: أيـن ذهبت «أحلام فتـرة النقاهة» الأخيرة التي دأب على إبداعها ثم تقليبها ومراجعتها بينه وبين نفســه، إلى أن يرضى عنها تمامًا فيحفظها عن ظهر قلب: بالكلمـة والفصلـة والنقطة، ثم يمليهـا على كاتـب أحلامه الأمين

صبري محمود، ليستعيد بعد ذلك سماعها منه مرة ومرات مُراجِعًا ومُنقحًا، حتى يطمئن ويرضى تمامًا فيتركها جاهزة للنشر؟

أين ذهبت الأحلام التي يعرف أصفياؤه أنه أملاها والتي قال لهم إن إجماليها يزيد على الخمسمائة حلم تركها جاهزة للنشر؟

راجعنا الأحلام على كل ما نُشر لنتأكد أن أيًّا منها لم يسبق نشره من قبل.

دققنا المخطوطة مستعينين بالأصفياء والخبراء، وبكل من شارك أحيانًا في كتابة الأحلام، وذهبنا بصحبتهم للحاج صبري لنراجع معه ما كتب وليفك طلاسم كلمات قليلة استغلق علينا تفسيرها، وقال لنا الحاج صبري إن هذه هي المجموعة الباقية، كاملة مكتملة، إلى آخر حلم أملاه محفوظ عليه، وراجعه معه.

اكتمل كتاب جديد به ٢٩١ حلمًا بديعًا تنشر لأول مرة لتكون الأحلام الأخيرة من «أحلام فترة النقاهة»، وأصبح بذلك مجموع ما تركه محفوظ من الأحلام - ما نُشر سابقًا، وما ننشره اليوم - يزيد بالفعل على الخمسمائة حلم: ٢٩١ الأحلام الأخيرة، و٢٣٩ سبق نشرها في ٥ طبعات متتالية.

قال نقاد عن «أحلام فترة النقاهة» إنها من أهم وأجمل النصوص في الأدب العربي، وإنها من أجمل ما أبدع وألَّف

محفوظ، وإنها ابتكار جديد في فن السـرد، كما قالوا إنها من أعلى مراتب الإبداع والفلسـفة والشفافية والحكمة، وإنها مُحمَّلة بمعانٍ وأفكار تحلق في أسـمى مراتب الصوفيـة والصفاء وجوهر الحياة، بينمـا قال محفوظ بتواضع إنـه يكتب «حاجات صغيرة قد الكف»، وإنه مرتاح لهذا الشكل وراضٍ عمَّا يؤلفه، وإن أحلامه تطورت مع الزمن فأصبحـت أكثر تأثرًا بالواقع والأحـداث الجارية، وإنه يبدو أن «ما ننكوي به نحلم به».

لقد تعاقدت «دار الشـروق» مع نجيب محفوظ على نشر الجزء الأول مـن الأحلام فـي أوائل عام ٢٠٠٥ وأصدرتـه في طبعة أنيقة صغيـرة تضـم ٢٣٩ حلمًا، وعندما ذهبت بنفسـي لأقدم نُسـخًا من طبعتهـا الأولـى له فوجئـت بفرحتـه العفوية بالكتـاب وكأنه كاتب جديد يرى أول نسخة لأول كتاب يُنشر له، أو كأنه يرى أهم وأجمل ما كتبه في حياته.

وفـي ربيع ٢٠٠٥ تكرَّم أسـتاذنا الجليل بالاتصال بي متسـائلًا بتواضع وود محفوظي مُحبب: «هل تقبل «دار الشـروق» أن تنشـر كتبي؟ علمًا بأن بعض الناشـرين والنقاد يؤكدون أن كتبي أصبحت لا تبيـع ولا يُقبَل على قراءتها»! أذهلتنـي ثلاثة أمور: الأدب الرفيع والتواضـع الفريد في حديثه لدرجة تعجز عن التعامل أو التصديق، والأمـر الثانـي السـعادة بالخبـر البديع؛ نجيـب محفـوظ يعهد لنا

بنشـر كل أعمالـه وبمبادرة وطلب منه شـخصيًّا! ثـم ادعاء البعض بانخفـاض البيع وانصراف القراء والنقاد... قاطعته مؤكدًا سـعادتنا وترحيبنـا البالـغ الصـادق الواعـي من جهـة، وتأكيدنا أننـا نرى أن نجـاح كُتبـه، وإدراك قيمته، ومعدلات قراءته ونقده... سـتزداد مع الزمن، وسترتفع مع ارتفاع الثقافة واتساع وتحسين التعليم، وزيادة قِيَم العدالة والحرية وحقوق الإنسان، كما كان يحلم ويأمل ويتنبأ، في كل كتاباته وأحلامه وأحاديثه.

لقد رأيـت بعينَيَّ الكاتب العالمي الشـهير «باولو كويلو» عندما اصطحبتـه لزيـارة محفـوظ فـي عـام ٢٠٠٥ ينقضّ - فـور دخولنا مـن بـاب البيت - على يد محفوظ مُقبلًا «اليـد التي علَّمته وألهمته وأنارت له طريق الأدب والإبداع والإنسانية».

لقد اسـتمتع قُراء أكثر من ٤٠ لغة بأدب نجيب محفوظ مُترجَمًا لهـم، وكانـت جائزة نوبـل اعترافًـا وتقديـرًا عالميًّا في سـياقٍ أهم هو محبـة واحترام القُـراء والنقاد فـي العالم؛ وهـي الجائزة الأهم والأكبر والأبقى.

وعندمـا اختيـرت الثقافـة العربيـة كضيـف شـرف لمعـرض فرانكفـورت، أكبر وأهـم معارض الكتاب في العالـم عام ٢٠٠٤، أصـرت اللجنـة الدوليـة المنظِّمـة أن يكتـب نجيـب محفـوظ - لا غيـره - رسـالة الثقافـة العربيـة لناشـري وأدبـاء ومثقفـي العالم

أجمع، وأبلغوني كما أبلغني عدد من أكبر ناشري العالم أنهم لم يستمتعوا بقراءة ويُعجَبوا بروعة أدب نجيب محفوظ فقط، بل إنهم تعلموا من بحار إنسانيته الرحبة.

إننا نعتقد أن في كنز أحلام نجيب محفوظ الأخيرة الذي نشرف بتقديمه اليوم خلاصة تجربته وجوهر أدبه وفلسفته وإبداعه الرفيع وإنسانيته السامية، آملين أن يستمتع القراء بقراءتها وأن ينهلوا من حِكمتها ومعانيها وأبعادها، وأن تلقى ما تستحق من اهتمام وتحليل الباحثين والدارسين والنقاد، وأن نصدر منها كما أصدرنا من باقي كُتبه طبعات وطبعات، وأن تُترجَم لأكبر عدد من اللغات لتثري مكتبة الأدب وثقافة الإنسان.

إبراهيم المعلم

العودة إليه

العـودة إليه. ما أحلى العودة إليـه. عالم أحلام نجيب محفوظ. «أحـلام فتـرة النقاهـة» التي انقطعت عني إشـراقته لأكثر من تسـع سـنوات، يعـود لي ثانية من جديـد ثريًّا وهاجًا عفيًّا صوفيًّا سياسـيًّا اجتماعيًّا موسـيقيًّا. يعود لناظـري ليخطف بصري من جديد. يعود ليشغل ذهني ويحرك مشـاعري ويُحيي ذكرياتي ويؤجج أشجاني. يعـود كوعـد ومكتـوب لأرض ميـلاده ونشـأته ومرتعـه وصبـاه وبطولاتـه ومعجبيه. يعود كقدر مقدر ووصل للأرحام واسـتكمال للمسـيرة عندما شـعر صاحبه بعـد حادث الاعتداء عليـه بما يدفعه للكتابة وقد امتلأ بالشجن والحنين والرغبة في العودة إلى الماضي وربطـه بالحاضـر، فخـرج بأحلامـه إلى النـور كل منها فـي بضعة سطور. تلقيتها، وهدهدتها، وبَجَّلتها وأوسعت لها مكانتها الجديرة بها في الصـدارة، وجئت لها بأجمل اللوحات، وأخليت من أجلها

الصفحات، وكتبت لها مقدمة في كتاب تشـرح أحلامًا أسـقط فيها العبقـري الحائط الرابع لتغدو بشـخوصها وأماكنها وأحداثها حلم الماضـي والحاضـر والغـد في بعـث جديد لـه دلالاتـه وحكمته. أحـلام هي دفقة شـفافية وشـفاء للنفس.. الاختـزال الدقيق الرفيق الـذي ينـزع الحراشـيف ليُبقي علـى الجوهـر متلألئًا ألقًـا، أحلام يمشـي على رءوسها لتصبح لها أقدام، أحلام يتنقل فيها إلى الضفة الأخـرى للأحلام، أحـلام هي الزهد في الدسـم الزائـل للوصول للنخاع، أحلام عبرت ألسـنة رماح التكرار، وغابات أشواك الملل، وصحـاري التقعر، وعفاريت المط والتطويـل، وبحار غُربة التقليد والاقتبـاس. محفوظ، أحلامه صرح صنعه لنفسـه لـم يطرقه غيره، ولغـة أجروميتها مِلـك يمينه وحده، ووصف لم يصفه أحد سـواه، وجملـة حدودهـا خريطتـه بهضابهـا وسـهولها وسـيولها وبردهـا وقيظهـا ومطرهـا وزلازلهـا.. أحـلام كلماتها حلقات في سلسـلة مفاتيحـه، وعالمهـا وحده سـاكنه ومالكه ونجمه وقمره ومسـرحه وملعبه وحارسـه. أحلامه لا تنتمي لابن سـيرين لتعلّق عليها «خير اللهـم اجعله خيرًا». أحلامه لا تصلح لشـهر زاد بين يدَي شـهريار تجـول فيها وتصـول وتتوقف عند صيـاح الديك وتعود فـي الليلة الجديـدة لتكمـل حكاية الشـاطر حسـن والأميـرة ذات الهِمة. لا، أحـلام صاحبنـا صياغـة مـن نـوع خـاص، مختومة بختـم خاص، أحلام وليست أضغاث أحلام، أحلام برؤية واعية وكاملة الإدراك،

أحلام كتبها تحت لافتة «النقاهة» لتظل على المدى أحلامًا تتوارى تنـدس تزوغ تحت تلك اللافتة، الحجـة، أو العذر، أو الهروب من التصنيـف والفهرسـة والجهبـذة والنقد، ففترة النقاهـة في مظهرها تعنـي أن صاحبها لم يتماثل للشـفاء الكامل بعـد، أي أنه حتى أوان كتابتهـا ليس في حكم المؤهل السـوي المكتمـل الصحة والأهلية للوقـوف أمـام القضـاء ومنصّات الحسـاب، أي أن عدسـة الأمور بالنسـبة إليه ليسـت في وضعيـة التطابق الأمثل كـي نقضي بالإدانة أو البـراءة. أحلام فتـرة النقاهة، إنه الخلق الأدبي فـي أزهى أطوار حداثتـه المتواري خلـف لافتة الأحلام بحجة أنهـا غير واقعية، بل حدثـت في المنـام وأن فترة حدوثهـا قد لازمـت أوان النقاهة التي تسـتبعد الخـروج بصاحبها لسـاحة النـزال، فهو لم يـزل كما يقول العنـوان واهنًـا واهيًا هشًّـا في غير لياقتـه التامة حتـى لا نأخذ عليه قولًا، أو نُعنفه أو نقلصه، أو نطالبه بالاعتذار.

عاشـت معي أحلامه سـنين مـن بدايتها حتى الحلـم رقم ١٤٦ بخط يده، قبل أن تُرهق اليد تمامًا - من أثر إصابته بالاعتداء الآثم - فيُمليها على سكرتيره، وإن كنت بعد هذا الرقم قد اقترحت عليه أن يكتـب كلمتين فقط بأصابعه مع بداية كل حلـم حتى يحمل العمل الأدبـي نوعًا من الحميمية؛ فقبل الأسـتاذ الاقتـراح ومكث الغيث منهمرًا يروي مجلة «نصف الدنيا» بأحلام فترة النقاهة التي يرسلها

لنا في توقيت محدد كالساعة على يد سكرتيره الحاج صبري في مظروف حكومي كبير مذيل بتحياته وإمضائه العالمي. وعندما أتى الإعصار ليقصيني عنوة عن أحلامه وعنه وعن موقعي في تلقي زاده المتفرد للنشر المدوي، اختفى سيدي هو الآخر. توارى كاتبي. تجمدت مسيرة الأحلام والذهاب والإياب بين الحلم والواقع حتى خُيِّل للجميع أنه قد أغلق باب الحلم وعاش صخر الواقع وجحيمه وجحوده وقفره وتصحره حتى رحيله. ومكثت طويلًا لا أصدق أن يجف النبع الميمون المتفجر فيضًا وهبة وموهبة ربانية. مكثت طويلًا لا أتقبل فكرة أن يُغلق نجيب محفوظ بيده بابًا فلسفيًّا فتحه أمام الأجيال القادمة لمعاودة النظر في قضية الأحلام ونقلها من حيز الخرافة أو التقديس عند بعضهم، إلى الخيال والفن والمتعة والمقارنة وإحياء الذكريات وقراءة فلسفة التاريخ في كلمات معدودات. مكثت طويلًا لا يعتريني الشك في أن نهر العطاء لم يزل هناك منهمرًا يوسِّع مجراه ولو في باطن الصخر وطيّات الخفاء. مكثت طويلًا مؤمِّنة على ما قاله الحاج صبري كاتب أحلامه من أن الأستاذ ظل لقرب رحيله يملي عليه عشرات.. مئات الأحلام بعدما ينشغل بصياغة كل منها لفترة ثم يحفظه عن ظهر قلب. فأين تلك الأحلام وقد أحصاها صبري بالمئات؟

وفجأة يظهر الكنز. تتحرر الخبيئة من قيدها. ينقشع الغَمام. يخرج المارد من القمقم. تنزاح الأستار عما خبا عنه ضوء النهار

لسنوات طوال. يعتذر جوهر الأدب عن تغيبه. يحتل اليقين موقع الارتياب. تكشف المصادفة عن المستخبي. تسع سنوات تأتي بعدها كريمتا صاحب نوبل «فاطمة وأم كلثوم» لتُعيدا ترتيب أوراق الأب الكريم المكرَّم بعد وفاة الأم الفاضلة فتكتشفا الثروة الأدبية التي لا تقدر بمال. أحلامًا جديدة بالمئات لم تنشر من قبل، سرعان ما دفعتا بها إلى «دار الشروق» لنشرها في كتاب جديد يتضمن الجزء الثاني من «أحلام فترة النقاهة» لأشرُف اليوم بتقديمها، كما شُرِّفت من قبل بتقديم الجزء الأول منها عام ٢٠٠٥، وأظل أحسد نفسي لموقعي المتفرد من أحلامه الذي كان يتمناه كل الملتصقين بنجيب محفوظ وهو على قيد الحياة وحتى بعد رحيله. أن أكون أولى القارئات. أن أكون أولى المفسِّرات وليأتِ بعدي الآخرون؛ فقد حمّلني الأستاذ بمسئولية أحلامه منذ البداية. بحكم شدة الاقتراب. بحكم الإعجاب الشديد. بحكم المسار الضمني الزمني الطويل. بحكم فهمي وإخلاصي له ووثوقه الكريم بي.

وها هي أحلامه الجديدة التي رقدت طويلًا في قاع الصندوق تخرج للنور مُعبرة عن أن «محفوظ» مكث لآخر أيامه ينتج ويبدع ويزرع الفسيلة، ويبلغ القمة في بلاغة الاختزال واتساع التفاصيل. أحلام خلاصتها تمزج الخيال بالواقع، والفلسفة بالرؤى الصوفية، والسياسة بالزعامة، والحب بالحرمان، والشباب بالشيخوخة، واللقاء بالفناء، ولقمة العيش بالانحناء، ودموع الفرح بشهقات

الندم، ولعنة العزوبية بمأساة الارتباط، والصفاء بعد العراك، ولهو العيال ومتاهة الكبار، وادعاء الكرم، وإحياء الموتى الذي يسعد البعض ويُشقي البعض، وعطر الأزمنة، وسهر الليالي، واستقلال القضاء، ومحاكمة الوزراء، والنهوض بالصعيد الذي طال إهماله، وكلّ في طريق، والعبد يُضرَب بالعصا والحر تكفيه الإشارة، والنصيحة في غير موقعها، والزمان لا يتغير ولكن الإنسان لا يثبت على حال، والحب موسيقى الوجود، ولا دوام إلا لله، والاستعداد قبل الإقدام، وبين الأشواك يتلاقى البؤساء، ومفهوم الثقافة طاقة استيعاب، ويا أهل مصر هنيئًا فلكم الحسين، والمدينة تعني الصراع، واملأ الفم تستحي العين، والعلم والشعوذة في جانب والواقع شيء آخر، والإخلاص للناس والمكان، وأولاد حارتنا، ويا قليل المال رفقتك محال في زمن الأنذال، والوحدة وسط الإخوة، ورائحة الفساد، وشرفة مطلة على البحر، والتردد يوصل للخسارة، والسلام العالمي مع الإسلام، والجدل العقيم والتعليم العقيم، ومراقبة النفس وسط الضجيج، وإن لم تستحِ فافعلْ ما شئت، وإن الله لا يضيع أجر من أحسن عملا، وضياعَ صوت المسحراتي وسط الضجيج، وتكون في بقلك وتقسم لأخيك، والنوم في العسل واليقظة مع الألم، والصدق في القول والإخلاص في العمل وأن تقوم المحبة بين الناس مكان القانون، ومشروب العاشقين، والبدء مع النظافة، وقليل البخت، وزعامة سعد زغلول، ووجه الحبيبة،

والاكتئاب عدوى، ورفقة الدموع، وطلع البدر علينا. عادت لي أحلامه من جديد لتصل حبل الوداد، وخيط الذكريات، ونبض الأيام، ونشاط الدماغ، وسلاسة السرد، وسلامة الفهم، وبيت العز، وجمع الأصدقاء، والهم المصري الشامل، والكيان المصري، والهوية المصرية، والحقيقة المصرية، والمزاج المصري، والروح المصرية، والمسألة المصرية، والطريق إلى مصر الحقيقية. وعاد نجيب في بعض أحلامه تلك إلى الرمز، وعندما يرمز نجيب لا يجوز لنا أن نفتش عن قلبه أو أن نتهمه بما لم يقل أو يصرح، ولنتذكر دائمًا أن الفن الرمزي هو كما يُقال - مع الفارق - عن ماء زمزم «هو لما شُرب له» أي على حساب نيّة الشارب.

أحلام تتشعب مساراتها التي تبدو بسيطة في أحداثها، قريبة فيما تقدمه، سلسة فيما تعرضه، ولكن ما إن يطيل القارئ الفكر فيما تعنيه الكلمات، وفيما يعبر عنه الأشخاص، وما تقود إليه الأحداث، وفيما يبدأ به الحلم أو ينتهي إليه، حتى يدرك أنه بإزاء عالم آخر، رحب فسيح، وأن ما يقرأ من وقائع أو أحداث فما الكثير منه إلا رمز لما وراءه من أفكار ورؤى وفلسفة، وإن كان هناك من يحمّلُ بعض أحلامه فوق ما لا تحتمل، فقد يكون هذا البعض مجرد حلم يقظة بَرَقَ للحظة في عفوية بريئة وانطفأ في لحظة، وما تدوينه إلا للذكرى. وإذا ما كان لكل بناء دعائمه، ولكل موضوع عناصره،

ولكل طريق محطاته، ولكل مسرح نجومه وأبطاله، فأهم أبطال ومفردات ونجوم ومحطات أحلام فترة النقاهة تلقاها تدور في غالبيتها حول: الأم، والعائلة، والإخوة، وأحداث الطفولة، وحي الجمالية، والحب وحبيبته «ب»، وبيت العباسية، وسيدنا الحسين، والصوفية، وسعد زغلول، والنحاس، والإسكندرية، والبحر، والسياسة، وعبد الناصر، والجيش، والحرافيش، والفيشاوي، وكرة القدم، والأغاني والحِكم والأقوال المأثورة، وعبد الوهاب وأم كلثوم وزكريا أحمد، وثورة يوليو، وقناة السويس، والنيل، والفساد والاكتئاب والتطرف، وليلة القدر، والمناصب، والفتنة الطائفية. و...وعشرات المحطات التي يتوقف عندها نجيب محفوظ ليروي حلمه عنها وفيها ومنها وإليها.

بطلة الأحلام بلا منازع هي «الست أم إبراهيم» أو «فاطمة»، أمه المتدينة التي تزور سيدنا الحسين يوميًّا والتي استوحى منها الابن ٢٢ حلمًا تعد الأكبر عددًا في مجموعته التي أزيح عنها الستار اليوم، وكيف لا وهو القائل عنها: «الإنسان طول فترة حياته يعتمد على الأم في أشياء كثيرة قد لا تكون بالضرورة أشياء مادية، وإنما يعتمد عليها عاطفيًّا، لكن برحيلها يفقد سندًا عظيمًا في الحياة، ويدرك أنه قد أصبح وحيدًا في العالم، وقد يكون له أصدقاء، وقد يكون له أبناء وأحفاد، ولكنه يعلم أن مكان الأم قد أصبح شاغرًا

إلـى الأبد. رحيل والدتـي أثَّرَ فيَّ كثيرًا رغم أننـي كنت قد تخطيت الخمسـين وكانت هي قد تخطـت الثمانين». أمه التي كانت لا تقرأ ولا تكتـب لكنها كانت بالنسـبة إليـه مخزنا للثقافة الشـعبية، وكان لغرامهـا بالآثـار القديمة، واصطحابهـا له في زياراتهـا لأبي الهول والأنتكخانة وكنيسـة ماري جرجس ما حفّز قلمـه ليكتب فيما بعد روايـات عديدة منها «كفاح طيبـة» و«رادوبيس». وربما كان الحلم رقم «٤٧٢» أروع ما كتبه نجيب في أواصر علاقته بأمه التي لم يُبلغها حتى وفاتها بنبأ زواجه من السـيدة عطية الله حتى لا يكدر صفوها، ويتجنـب ثورتها، بعد رفضه الـزواج من قريبتها الثرية لعدم التكافؤ من الناحية المادية، خاصة عندما علم أن أهل الفتاة سيتكفلون بكل تكاليـف الزواج من مهر وشـبكة وأثاث! كتب نجيب عن الأم التي لعبت معه وحلقت معه ورتلت معه القرآن ترتيلًا: **«رأيتني صبيًّا مع أمـي وهي في فناء البيت تعد الطيـارة الورقية للطيران وأجلس على قاعدتها المزخرفة وتمضي هي في حركتها وهي ترتفع رويدًا رويدًا حتـى تبلـغ الأفـق؛ فيتاح لـي أن أرى الحـي من فوق مثل الأسـطح ومـا فيها من دجاج وأرانب ورءوس الأشـجار بثمار «دقن الباشـا» وأعالـي المـآذن، وتتلو أمي الآية الكريمـة: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾، فـأرد وراءهـا: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾».**

ويأخذ «الحب» بعواطفه الجيّاشة من دلال ووصال وغيرة وهجر وبعاد وخصام ما يملأ جنبات ١٨ حلمًا، بينما الحبيبة التي يرمز لها بحرف «ب» تتسلل وحدها لتجلس على عرش ١٤ حلمًا وإن رافقتها الأخريات كوصيفات أو زميلات دراسة ومهنة، وفي غالبية أحلام عشقه لـ«ب» تقبل عليه بكامل حنينها وأشواقها ورغبتها في الارتباط به، لكنه يفقدها بتصرفاته اللاواعية، أو بتدخل الأقدار؛ ليقعد بعدها ملومًا محسورًا عازبًا وحيدًا مكتئبًا. ومثالًا لسوء تقديره لأمور الحب الحلم رقم «٤٢٨» الذي جاء فيه: **«رأيتني أجد المرحومة «ب» تحت شجرة جميز فقلت لها إني كثيرًا ما أراها في أحلام اليقظة والنوم، فماذا فرَّق بيننا؟ فقالت لي: تذكر ما حدث في شارع الكورنيش فقد تبعتني خطوة بخطوة حتى تمنيت أن توجه لي كلمة فأستجيب لك فورًا، ولما طال انتظاري قررت أن أتغلب على خجلي وأنظر خلفي نحوك، ولكنك أرخيت جفنيك فتولاني اليأس من ناحيتك، فقلت: ياللخسارة، فإن السعادة سعت إليَّ حتى كانت مني على بُعد قيراط فماذا أعماني عنها؟»**. ويظل بطلنا محبذًا حياة العازب المستمتع بحريته حتى إنه عندما تزوره العروس في الحلم يخلع عليها ثوب مرض «الصرع» لينفض مولد الزواج، ويتجلى ذلك في حلمه رقم «٤٦١» عندما يقول: **«رأيتني في بهو استقبال يجمع بين أهلي وأهل خطيبتي وهذا المأذون يعد دفتره ليعقد قراني، وإذا بخطيبتي تندّ عنها صرخة وتقع على الأرض**

متخشبة الجسد مرتعشة الأطراف غائرة العينين، والرغوة تسيل من فمها، فهرع إليها أهلها وحملوها وذهبوا بها مخلِّفين وراءهم حسرة خانقة لا شفاء منها».

وفي الكشف الأدبي الجديد هناك ثمانية أحلام لنجيب محفوظ تدور وحدها حول سعد زغلول وحبه الشديد له، وتشبعه بأفكاره ورؤيته له زعيمًا بمعنى الكلمة يمتلك شخصية متعددة الجوانب؛ فهو مثقف وأديب ومحامٍ كبير وقانوني وسياسي وخبير وصاحب عقلية جبارة، ولا يوجد زعيم في تاريخ مصر أحبه الناس حبًّا صادقًا إلى درجة العبادة، وينزلونه منزلة التقديس والإجلال، وعندما يقارنه بمصطفى النحاس يجد النحاس أقل في مجموع مواهبه من سعد، ولكنه كان غاية في النقاء والصفاء والوطنية والطيبة ونظافة اليد، وهو في إيمانه بمبادئ سعد زغلول إيمان السالكين في الطرق الصوفية بشيوخهم، ورغم ولاء النحاس الشديد لسعد فقد كان - في نظر نجيب محفوظ - أصلب منه وأشجع وأكثر جرأة عندما يتعلق الأمر بالوطنية. وربما يلمس الحلم «٢٩٨» حقيقة المشاعر التي حملها نجيب محفوظ لسعد زغلول عندما يحلم فيه وعنه فيقول: **«رأيتني أسير في الظلام وشبح يتحرك هنا وآخر هناك فامتلأتُ رعبًا ولجأتُ إلى تمثال سعد زغلول، فوثب الزعيم إلى الأرض وأيقظ الأسد الذي راح يزأر فإذا بالأشباح تختفي وإذا بالطمأنينة ترجع إلى صدري، فشكرت الزعيم الجليل وعبرت الجسر في سلام».**

ولـم يدخل نجيب محفوظ معتقلات عبد الناصر ولا السـادات رغـم الانتقـادات الصريحـة التـي كان يوجههـا عن طريـق رواياته وقصصـه لسـلبيات موجـودة فـي المجتمع فـي عهدهمـا محاولًا تعريتهـا ولفت الأنظار إليها، ولكن السـلطة كانت واثقة من حُسـن نوايـاه فـي كتاباتـه، وكان ناصر نفسـه مـدركًا لهذه الحقيقـة بدليل تدخله لصالح محفوظ بعد نشر روايته «ثرثرة فوق النيل» ولـم يترك الأمـر لانفعال المشـير عبد الحكيـم عامر. ويتذكـر محفوظ المرة الوحيـدة التي التقى فيها بعبـد الناصر وكلَّمه وجهًا لوجه عندما زار ناصر مبنى «الأهرام» الجديد ورافقه الأستاذ هيكل إلى حجرة أدباء الأهـرام، وعندمـا جـاء دوره في المصافحـة قال له ناصر مبتسـمًا: «يا نجيـب بقـى لنا زمان ماقرينـاش لك حاجة»، وردَّ عليه الأسـتاذ هيكل: «ستنشر له «الأهرام» قصة غدًا. ولكنها من النوع اللي يودي فـي داهية»، وعقَّب عبد الناصر على الجملة الأخيرة موجهًا حديثه إلى الأسـتاذ هيـكل: «يوديك انـت». ومن هنا؛ ظل لـدى محفوظ شعور بالاطمئنان والثقة، وبأنه لن يتعرض لأي نوع من الغدر طالما هناك عبد الناصر. وكان في جملة آرائه عنه يرى له أخطاء لا تغتفر؛ ومنها إخفاؤه المعلومات عن الشعب لدرجة أنه لم يعرف شيئًا عن مرضه إلا بعد وفاته ليفاجأ بأنه كان مصابًا بمرض خطير في القلب، وأنـه كان ممنوعًا مـن العمل لفترة غير قصيـرة، وأن مصر تحكمها «لجنـة»، وأن الروس يعلمون بحقيقة مرضـه حين كانوا يغالجونه،

بينما شعبه كان آخر من يعلم. ويعتقد محفوظ أيضًا أن الأمريكان كانوا يعرفون بمرض عبد الناصر ويعدون العدّة لخلافته. ونزلت وفاة ناصر على نجيب كالصاعقة ليودعه بمرثية أدبية بليغة على هيئة حوار جاء في بعضها:

- حياك الله يا أكرم زاهد.

- حياكم الله وهداكم.

- إني أحنى رأسي حبًّا وإجلالًا.

- تحية متقبلة، ولكن لا تنسَ ما سبق من قولي: «ارفع رأسك يا أخي».

- سيكون أحب الطرق إلى نفسي، الطريق إلى مسجدك.

- طريق الحق هو الطريق إلى العلم والاشتراكية.

- نستودعك الله يا أكرم من ذهب.

- كلنا ماضون، ومصر هي الباقية.

ويزور جمال عبد الناصر في «أحلام فترة النقاهة» صاحبها ليقول في حلمه رقم «٢٠٩»: **«وجدتني مع الرئيس عبد الناصر في حديقة صغيرة وهو يقول: لعلك تتساءل لماذا قلَّت مقابلاتنا، فأجبته بالإيجاب. فقال: كلما شاورتك في أمر جاءت مشورتك بالاختلاف كليًّا أو جزئيًّا، فخفت أن تتأثر صداقتي لك بهذا الموقف. فقلت: أما أنا فلن تتأثر صداقتي لك مهما اختلفنا»**.

ويظـل هاجس الهجـوم على روايتـه «أولاد حارتنـا» يؤرقه في اليقظـة والحلم وأضغاث الأحلام بعدما أجريت محاكمات عديدة للروايـة ومؤلفها؛ بعضها جرى في العلن، وبعضها في الظلام، كما صـدر أكثر من حكم بالإدانة، بل بالتكفير في بعض الأحيان، لتظل معـه الرواية مطارَدة وممنوعًا نشـرها، دون أن يكـون معلومًا بيقين الجهـة التي أصـدرت قـرار المنع. وكمـا كان قرار المنـع مجهول المصـدر، فقد أتيـح للرواية الخروج إلى النـور وأن يتداولها النقاد بالنقد فـي حرية وصراحة تامتين! ومن هنا؛ منحها كاتبها في حلمه رقـم «٣٩٥» حـق التكريم بقوله: **«وجدتني فـي حفل لتكريم رموز الثقافـة والعلم، ووقـف الرئيس وتحدث عـن «أولاد حارتنا» فنفى عنها أي شبهة إلحاد، ونوّه عما فيها من تسامح واستنارة»**.

ويتذكـر نجيـب محفـوظ أن الفنان أحمـد مظهـر كان صاحب تسـمية شـلة الأصدقاء بـ«الحرافيش» والتي كان مـن أبرز أعضائها المسـتديمين الكاتـب السـاخر محمـد عفيفـي، والمخـرج توفيق صالـح، والكاتب عـادل كامل، وصلاح چاهين الـذي انضم ومعه مصطفـى محمود. وعنـد وفاة چاهين المأسـاوية قـرر محفوظ أن يكتـب كل ما يعرفه عنه في عمل روائي، وكان يعرف الكثير، ولكنه توقـف عـن قراره عندما استشـعر ما قد يسـببه من مشـكلات كثيرة خاصة أن الرواية إذا ما كتبها فسـوف تتضمن شـخصيات معاصرة، ووقائـع وأحداثًا ليس له الحق في سـردها، وتوصل في النهاية إلى

كتابة رواية عن شـخصية چاهين بطريقة لا يستدلُّ منها القارئ عليه فجاءت رواية «قشـتمر»، ولكن الابن بهاء چاهين تعرف فورا على أبيـه فيهـا. وإذا لم يكن نجيب محفوظ قد كتـب صراحة وبوضوح عن أحزان واكتئاب چاهين، فالقارئ لا بد أن يتعرف عليه من خلال كلمات معدودات في سطور الحلم رقم «٣٨٧» والتي سارت على دربـه من خلال أحداثه الفنانة سـعاد حسـني التي نسـج لها چاهين شخصية «خلِّي بالك من زوزو» المرحة، ولكنهما معًا سارا للنهاية المأسـاوية ليتـركا فراغًـا لا يسـتطيع أحد أن يشـغله، وجـاء الحلم يذكرهما بحروف أسمائهما الأولى: **«وجدتني مع بعض الحرافيش في مسكن المرحوم الشاعر «ص» ومعه المرحومة «س»؛ فتصافحنا بحرارة وسـألته: هل أنت تؤلـف لها دراما شـعرية؟ فقال: إن الذي يجمعنـي بهـا الآن الانتحـار الذي ارتكبنـاه ضيقًا بالحيـاة. وأخذنا نتسـامر حتى الهزيع الأخير من الليل، وغادرنا المسكن، أما الشاعر والفنانة فسارا في الشارع الطويل الخالي ونحن في الناحية المضادة والحزن يملأ جوانحنا»**.

وتضـم «أحـلام فتـرة النقاهـة» ثلاثيـة جديدة لنجيـب محفوظ فـي أحلامـه بأرقـام ٣٩٦ و٤١٧ و٤٣٧ بمفهومـه للفسـاد الـذي أصبحت رائحته تزكم الأنوف، حتى أنوف المتسببين فيه مثلما قال أحـد المسـئولين عنه يومًا: «الفسـاد في المحليـات للركـب». وبدأ محفـوظ ثلاثيته بالبحث عن علاج فيكتشـف فـي النهاية أنه علاج

هلامي إذ يقول: «سمعت صوتًا آتيًا من الغيب يقول إنهم في العالم الآخر بدءوا يشمون رائحة كريهة صادرة من عالمنا؛ فنظر مستطلعًا فوجد السبب في الفساد المستفحل، فسألته: وماذا ستفعل؟ فقال: نحن نبدأ بالوعظ والإرشاد وإذا لم يُجْدِ ذلك عمدنا كارهين إلى وسائل أخرى».

وكان ممكنًا لنجيب محفوظ احتراف الموسيقى من شدة افتتانه بها، حتى إنه التحق يومًا بمعهد الموسيقى العربية ودرس فيه لمدة عام كامل ليحصل على أعلى الدرجات، ولو كان قد وجد توجيهًا سليمًا من أحد لتغير مسار حياته واختار طريق الموسيقى وليس الأدب، لكنه ظل يحفظ أدوارًا من التي درسها في المعهد مثل دور «السماعي الدارج» أجزاء بـ«الصولفيج»؛ وذلك لأنه كان يعزف على آلة القانون، وأستاذه فيه حفيد العقاد الكبير عازف القانون في فرقة أم كلثوم، وكان محفوظ حريصًا على حضور جميع حفلات أم كلثوم في مسرح الماجستيك منذ أن كان طالبًا في السنة الأولى الثانوية حتى الجامعة، وعندما ظهر الراديو كان يستمع إلى حفلاتها في المقهى. وعلى طول حياته لم يتعصب للون معين من ألوان الغناء وإنما ظل يحب القديم والجديد معًا، والشرقي والغربي، والبلدي والريفي والإفرنجي، فقد وجد في كل لون مزاياه وأسلوبه ونكهته، وتلك الروح نفسها التي تعامل بها أيضًا مع المذاهب الأدبية فلم ينكر أي لون أو مذهب أدبي باستثناء مذهب واحد عجز عن فهمه

وهو «اللارواية»، وعلى مدى أحلامه الجديدة مكث الغناء يتسلل إلى بداياتها ومتنها وخواتمها. ومن تجميعنا لباقة تلك الأغاني والمواويل؛ أتى هذا النسيج المقتطف من زهور مئات من «أحلام فترة النقاهة»: **«أنا كنت صياد سمك وصيد السمك غيّة، وتميل عليه وتقول له ليه طاوعتني، وحقك أنت المُنى والطلب، ياما انت واحشني وروحي فيك، أراك عصيًّ الدمع شيمتك الصبر، يا بيت العز يا بيتنا. على بلد المحبوب ودّيني، زاد وجدي والبعد كاويني. أسمر ملك روحي، جفنه علَّم الغزل. خفيف الروح بيتعاجب، برمش العين والحاجب. من أد إيه كنا هنا من شهر فات ولَّا سنة، أيام ما كنا لبعضنا والدهر غافل عننا. ولد الهدى فالكائنات ضياء. وعلى دول يا امّه يا امّه على دول. لا تشغل البال بماضي الزمان»**.

وكأنها اللحظة. وكأن نجيب محفوظ يعيش معنا الآن في دوامة المهاترات، والتأجيلات، والدراسات اللامجدية، والاجتماعات التي لا تجتمع، والتأكيدات التي لا تتم، والوعود التي تتبخر، والمفاوضات التي تنتكس، والتبريرات التي تساق عبثًا، والرجالات الذين لا يوفون بالتزاماتهم في مسألة سد النهضة الإثيوبي الذي يكسب الوقت بأكل الوقت وتضييع الوقت. من عشر سنوات وأكثر كَتَب صاحب نوبل في حلمه رقم «٤٢٦» من «أحلام فترة النقاهة» وكأنه يقرأ الغيب ويستشف ما سوف يجري

للنيـل المقدس: «**رأيتني من المقربين من حاكم الجنوب في مصر، وكان حديثـه يدور حـول الجماعات المتناحرة على شـاطئ النيل، ويومًـا قال لي إن النيـل جاءه في المنام وقال له إنه يعهد إليه بتوحيد الجماعـات المتناحرة فـي جماعة واحدة متعاونـة، وأن يكون مَلِكًا عليها يقوم بتوزيع المياه بينها بالعدل**».

وهكذا كانت «إِأحلام فترة النقاهة»... وَمَضَات إنسـانية انشـغل بهـا نجيـب محفـوظ وصاغهـا وشـذّبها على شاشـة عقله بريشـة وجدانه، ثم حفظها ليمليها كما ارتآها لتتحول إلى العمل الإبداعي العالمي الفريد من نوعه. وحمدًا لله أن كريمتيْه «فاطمة وأم كلثوم» قد أعادتا تنظيم أوراقه بعد غياب تسع سنوات؛ ليعثرا على ما انقطع من خيط الإلهام لتكتمل الأحلام.

سناء البيسي

حلم ٢٠٠

وجدتني في حالة تأهّب للصراع مع عدو شرس وتاقت نفسي إلى شيء من الراحة فصعدت إلى الدور الأعلى حيث رأيت محمد علي الكبير يتلقى الأنباء وينتفخ عظَمة ولكنه جُن جنونًا.

حلم ٢٠١

رأيتني أذهب إلى مسكن صديقي المرحوم « أ » ودعوته للذهاب معي إلى القهوة، فاعتذر لأن اليوم ستزوج أخته زينب، فذهبت إلى المقهى وأخبرتهم وكنا نتعجب لشدة قبح زينب، وإذا بنا نرى موكب العروس قادمًا وهي محاطة بالنسوة والجميع متشحات بالسواد من الرءوس إلى الأقدام ويَسِرن بخطوات منتظمة عسكرية.

حلم ٢٠٢

وجدتني في بيت ريفي أغوص في الظلمة والصمت ولا صوت إلا نباح كلبتي الجميلة المتقطع، وإذا بطلق ناري يخترق الليل والصمت، فذهب صاحبي وبعد قليل رجع ليقول بصوت أسيف: قتلوا كلبتك الجميلة، فانتابني حزن لحد البكاء وقلت: أهم لصوص؟

فأجاب: أو قوم يعبثون.

حلم ٢٠٣

وجدتني في مكان غريب يبعث منظره الأسى وإذا بحبيبتي «ب» قادمة مكللة بشيخوختها فتولاني شعور كئيب بأنني لن أراها مرة أخرى.

حلم ٢٠٤

رأيتني أتجاوز الأربعين وأداعب وردة بيضاء وهي تستجيب لعواطفي بل وتشجعني ولكنني لفارق السن أتردد وأتمادى في التردد حتى تهجرني وحيدا مع الزمن.

حلم ٢٠٥

رأيتني أدرس القانون إكراما لأبي وأذوب في الأنغام مراضاة لروحي، وعند ذروة الاختيار تناهى بي العذاب ولكن الروح انتصرت في الختام.

حلم ٢٠٦

رأيتني في بهو واسع أنيق يجمع في جانب منه الأهل والأصدقاء، وفي الجانب الآخر يُفتح باب وتخرج منه حبيبتي « ب » وهي تضحك ويتبعها والدها، فنسيت وقاري وفتحت ذراعي وفتح المأذون الدفتر فشملت الفرحة الجميع، وحضرت أمي فباركت العروس وأحرقت البخور.

حلم ٢٠٧

رأيتني أسير في شارع طويل وفي بيت على اليسار فتحت نافذة ولاح فيها وجه امرأة سرعان ما تذكرتها على الرغم من أنني لم أرها منذ خمسين سنة وأن جمالها اختفى وراء ستار كثيف من المرض، ولما استيقظت في اليوم الثاني وجدت الحلم باقيا في ذاكرتي فعجبت ورحت أتصفح جريدة الصباح فقرأت نعيها في صفحة الوفيات، فازددت عجبًا واعتراني حزن شديد وتساءلت: ترى أينا زار الآخر في ساعة الوداع؟

حلم ٢٠٨

وجدتني في مكتبي تزورني السيدة « س » لتسلم عليَّ قبل رحيلها لإحدى البلاد العربية للعمل، ووضعت يدها في يدي ولكنها لم تسحبها واغرورقت عيناها الخضراوان بالدموع.

حلم ٢٠٩

وجدتني مع الرئيس عبد الناصر في حديقة صغيرة وهو يقول:

لعلك تتساءل لماذا قلَّت مقابلاتنا، فأجبته بالإيجاب.

فقال: كلما شاورتك في أمر جاءت مشورتك بالاختلاف كليًّا أو جزئيًّا، فخفت أن تتأثر صداقتي لك بهذا الموقف. فقلت: أما أنا فلن تتأثر صداقتي لك مهما اختلفنا.

حلم ٢١٠

وجدتني في قهوة الفيشاوي وأمامي على بعد غير بعيد الفنانة البالية الموشكة على الاعتزال، فنظرت إليها بشغف وتلفتت تنظرني بسماحة وظهرت على شفتيها ابتسامة خفيفة، فقال لي صاحبي: أبشر فلن تخوض معركة الحياة الأخيرة وحيدًا.

حلم ٢١١

وجدتني أمام منصة يجلس عليها الزعيم سعد زغلول وإلى جانبه أم المصريين وإذا برجل يتقدم زاعما أنه الزوج الحقيقي للسيدة ويطلب منه أن تتبعه، وقدم للزعيم أوراقا ولكنه نحاها جانبا وقال له: بيني وبينك القانون والشعب.

حلم ٢١٢

رأيتني أتأمل صورة في حجم الكف تجمع زخارفها بين فتى لعله يشبهني وفتاة تشبه « ب » فقلت: أصبحنا نادرة تُحكى وتُصوَّر.

حلم ٢١٣

رأيتني واقفا أمام معرض مصور الأفراح في حينا ورأيت لأول مرة « ب » عن قرب وبتمهل فشعرت بخيبة ولم أفقد الأمل في السلوان.

حلم ٢١٤

رأيتني في محطة الترام وقد اكتشفت أنني نُشلت ولمحت الصديق أحمد مظهر مسرعا فلحقت به فأخبرته عن حالي، فقال ضاحكا: وأنا أيضا نُشلت، فقلت له: هلم إلى العباسية لنجد النقود، فقال لي: إنني أدعوك للتطوع في الفرقة الجديدة من المدنيين التي تعمل مع وزير الداخلية مباشرة وهدفها تطهير البلاد من النشل والنشالين.

حلم ٢١٥

رأيتني وسط جماعة من الشبان المعاصرين ورأيت فيهم واحدا مختل الأعصاب فتصدت له فتاة منهم وعاملته بعطف ومودة حتى استرد صحته النفسية، ثم جمع بينهما حب عميق، وأراد أصحابه أن يتأكدوا من شفائه فاقترحوا عليَّ أن أمثل دور العاشق مع الفتاة ففعلت ولكنها صدت عني بأدب، وإذا بي أحبها حقا وعز عليَّ أن تُفضل عليَّ ذلك الفتى المريض، وذات مرة شعرت بمن يعزف نغمة من أنغام الزار، وتراءت لعيني الفتاة وهي ترقص فرقصت معها حتى استيقظت منهوك القوى، ولكن في صبح يوم جديد.

حلم ٢١٦

رأيتني في بيت العباسية أزور أمي ولكنها استقبلتني بفتور غير متوقع ولا مبرر، ثم غادرت مجلسها ربما لتعد لي القهوة غير أنها ذهبت بلا رجعة.

حلم ٢١٧

رأيتني أسير في مظاهرة ملأت الشوارع والميادين وفي مقدمتها رفعت صور مكبرة لأحمد عرابي وسعد زغلول ومصطفى النحاس، وتعالت الهتافات تنادي بدستور جديد يناسب العصر، ولم تستطع قوات الأمن تفريقها، وبدت كأنها مصمِّمة على النصر.

حلم ٢١٨

رأيتني في المحكمة مع بعض الزملاء وقلت للقاضي إنني مختص بالتقييم الفني ولا شأن لي بالرقابة، وقال لي مدير الرقابة إنه وحده المسئول عن الرقابة ولكن لا علاقة له بالجانب الفني، وبعد المرافعات أوصى القاضي بأن تمثَّل الرقابة في جميع اللجان الفنية كي لا تُصدر الوزارة قرارات متناقضة تثير السخرية.

حلم ٢١٩

رأيتني رب أسرة كثيرة العدد يعاني مر المعاناة لتوفير الحياة لهم، وأخيرا قررت ربة البيت أن تستغل مهارتها الفائقة في صنع الطعمية لمساعدتي، ووجدت أول زبائن لها في فروع الأسرة ثم الجيران وأخيرا الحي، «وبشرى لنا زال العنا».

حلم ٢٢٠

رأيتني في قسم الشرطة نائبًا عن سكان شارعنا وقلت للمأمور أن يخصص لشارعنا جنديًّا في الليل لكثرة اللصوص، فقال لي إنه سبق أن فعل ذلك في شارع آخر وقتله اللصوص في ظلمة الليل، فقلت له: اسمح لنا بأن نتسلح دفاعا عن أنفسنا، فقال: في تلك الحال ستكونون أشدة خطورة علينا من اللصوص، فسألته: بمَ تنصحنا؟ فقال: بإحكام إغلاق النوافذ والأبواب وإنارة المصابيح الخارجية.

حلم ٢٢١

رأيتني أقرأ السيرة الذاتية لسعد زغلول بقلمه واستمتعت بكل ما فيها، وإذا بي أرى الزعيم يجلس بكل عظمة فهرعت إلى يده أقبلها وقلت له: إنني استمتعت بكل كلمة في الكتاب ولكن طبعته قديمة ولا تليق بعظمة الزعيم، واستأذنت في إصدار طبعة جديدة تليق به فأذن لي، ولما رجعت إلى البيت وجدت زوجتي قد أنجبت توأمين ذكرًا وأنثى فقررت أن أسمي الذَّكر سعدا والأنثى سعادة. وعادت ليالي الهنا والقلب نال المُنى.

حلم ٢٢٢

رأيتني أعاصر التغير الكبير حيث ألغيت الحدود بين الدول ورفع عن المرور أي عوائق تحت مظلة العدل والحرية واحترام حقوق الإنسان، وتجولت بين العواصم ووجدت في كل مكان عملا مناسبا ولهوا ممتعًا ورفقاء في غاية العظمة، ثم حننت إلى مصر فرجعت إليها وقابلني أصدقاء الطفولة وطلبوا مني أن أحدثهم فقلت لهم: هلموا أولا إلى الحي القديم فنصلي في مسجد الحسين رضى الله عنه ثم نتغدى عند الدهان ثم نذهب إلى الفيشاوي فنشرب الشاي الأخضر وأقص عليكم العجائب.

حلم ٢٢٣

رأيتني أحمل حقيبة السفر الكبيرة أنا وزوجتي وإذا بالمحبوبة «ب» تجيء فتساعدنا، فاستخفني الطرب ولمست يدها وقلت: لن أنسى هذه اللحظة ما حييت، فقالت لي: بل عليك أن تنساها وأصارحك بأنني سعيدة مع زوجي وأولادي، فانطفأت آخر شمعة في مصباحي.

حلم ٢٢٤

رأيتني معها في حديقة الشاي وهي تقول لي: أنت وعدت أن تزور أبي وهم ينتظرونك، فقلت لها إنني عندما علمت بأنني أكبر منها بعشرين عاما تراجعت حتى لا أظلمها، فقالت: لكنني لا أعترض، فقلت لها: أنا لا أستغل البراءة وأظلمك، ومرت أيام عذاب طويلة حتى علمت أن زميلي « أ . ن » عقد قرانه عليها وهو يماثلني في العمر وأكثر من ذلك أنه أرمل وأب لبنت في سن الزواج فتذكرت الشعر الذي يقول:

مَن راقبَ الناسَ ماتَ غمًّا

وفازَ باللذةِ الجَسورُ

حلم ٢٢٥

رأيتني في مكتبي أستقبل فتاة هي قريبة لي من بعيد وأخبرتني بوفاة أمها من أسبوع فتذكرت فترة من الماضي الجميل. وقالت: إنها أوصتني قبل وفاتها بأن ألجأ إليك عند الحاجة إلى مشورة، فقلت في نفسي: يرحمها الله آثرتني على خالها وعمها، فلا خيبت لك ظنك.

حلم ٢٢٦

رأيتني مع كتيبة من الجنود في مخبأ مغطى بالأعشاب نتحين الفرصة للخروج ومفاجأة العدو، وفي الوقت نفسه نخشى أن يعثر العدو على باب المخبأ فيسلط علينا غازاته ونموت كما تموت الفئران.

حلم ٢٢٧

رأيتني جالسا مع المرحوم « ك » في شرفة بيته الريفي تحت ضوء البدر الساطع وفي حضن ليل الريف الساجي وكان يقول لي: أنت تعلم أني لا أهتم بالسياسة وعلى الرغم من ذلك انقض عليَّ زوار الفجر وساقوني معصوب العينين إلى حجرة مظلمة قضيت فيها شهرا دون تحقيق ولا معرفة لسبب ذلك، ولما عدت إلى قريتي كانت أعصابي قد اختلت ثم كانت النهاية. فقلت له: لقد سار في جنازتك جميع الحرافيش وهم يتساءلون.

حلم ٢٢٨

رأيتني في الإسكندرية ودخلت بنسيونا أنيقا وتبين لي أن التي تديره هي حبيبتي فغرقت في العشق حتى قمة رأسي فقالت لي: لمَ لا نتزوج إذن؟ فقلت متذكرا ما جرى بيني وبينها في العباسية: إني أخشى إن تزوجتك أن أفقدك. والمرة الثانية وجدت البنسيون مغلقا وقال لي البواب إن المدام رحلت إلى أثينا موطنها الأصلي.

حلم ٢٢٩

وجدتني في مقهى ريش مع أصدقاء ريش وكلنا ننتظر بدء الحفل، وجاء أعضاء الأوركسترا حتى اكتملوا عدا وعدة إلا المايسترو فوضعني الأصدقاء مكانه وأدرت الحركة بنجاح، وتخلل العزف صوت أم كلثوم وصوت عبد الوهاب، وغنى الأصدقاء والنادل وصاحب المقهى وفتحت النوافذ التي تحيط بالمقهى، واشتركوا جميعا في الغناء حتى تواصل الغناء بين السماء والأرض.

حلم ٢٣٠

رأيتني في سرادق كأنه بلا حدود مكتظ بالناس وفي صدره رجل يخطب عن الوحدة، ولما انتهى من خطابه قلت له: لقد رحل سعد زغلول وتلاه مصطفى النحاس فباتت الوحدة أمانة في عنقك.

حلم ٢٣١

رأيتني أشاهد إبراهيم باشا وهو يغادر تمثاله ويتنقل من مقهى إلى مقهى متحديا أبطال الطاولة ويغلبهم واحدًا في إثر واحد، وعند الفجر ذهب إلى مسجد الإمام الحسين رضي الله عنه وصلى ثم رجع إلى قاعدته، فشعرت بفخر كبير وحزن عميق.

حلم ٢٣٢

رأيتني في الغورية وجنود الشرطة أضعاف المدنيين، ورأيت أبي قادما وشرطي عن يمينه وآخر عن يساره فانقبض صدري وخفت أن يكون مقبوضا عليه، ولكنه سلم عليَّ وقال لي: رأيتك مقبلا وشرطي عن يمينك وآخر عن يسارك فخفت أن يكون مقبوضا عليك.

حلم ٢٣٣

وجدتني في بيت العباسية ورأيت أمي وأخواتي في غاية من الحزن لموت كلبنا العزيز الأمين ولم يكن سبق لي أني رأيتهن على تلك الحال إلا عند رحيل الأعزة.

حلم ٢٣٤

رأيتني صاحب مزرعة كبيرة أنشأت بها قرية حديثة فيها ماء نقي وكهرباء، وفي القرية أيضا وحدة صحية ووحدة تعليمية ومسجد وكنيسة، وضاعفت أجور العاملين وإذا بمأمور المركز يقول لي: أنت متهم بالفوضوية وإحراج الملاك من حولك وتحريض الفلاحين الأبرياء على التمرد.

حلم ٢٣٥

رأيتني مع جماعة من الشبان نستمع إلى عثمان بوزي (أكبر صانع روائح عطرية في صباي) وهو يدعو الواقفين إلى مقاطعة البضائع الأجنبية، وقال لي والدي وهو متربع على سجادة الصلاة: هذا كلام جميل ولكننا لم ننتج بعد احتياجاتنا للضروريات، فقلت له: فلنبدأ بالممكن.

حلم ٢٣٦

رأيتني أدخل الشقة الجديدة يتقدمني البواب واختفى البواب فشعرت بالوحشة وقررت الرجوع ولكنني ضللت السبيل وتطوعتْ أصوات لإرشادي، فتارة تقول لي: خذ يمينك، وتارة أخرى تقول لي: خذ يسارك، ولكنني لم أهتدِ إلى سبيلي وتساءلت: أين البواب وأين أهلي؟ ويزحف الظلام فأسقط في الحيرة ولكنني لم أفقد الأمل.

حلم ٢٣٧

رأيتني أدخل حديقة الخالدين بعد أن ارتددت إلى سن المراهقة وارتديت البنطلون القصير، وفي الداخل رأيت طابور الحسان يتقدمن وهنّ في مثل سني تتقدمهن الخالدة «ع»، وجرت جداول من البسمات والدموع ثم زال الحسن كله في الموجات التي لا تتوقف ولم يبق إلا جداول من الدموع الجافة.

حلم ٢٣٨

رأيتني أتسلم هدية ثمينة من يد الشيخ الفنان وهو يقول لي: لا تستمتع بها إلا حيث يلتقي النيل بالبحر، وذهبت إلى هذا الملتقى فوجدت الشيخ في انتظاري واستمتعنا معا بالهدية، وترنمت الحناجر بالمواويل العذبة، ومازلنا كذلك حتى سبح في الفضاء الرطيب أذان الفجر المبارك.

حلم ٢٣٩

وجدتني أسير بين الجموع الغفيرة؛ فهذا يوم الانتخابات العالمية التي تشارك فيها جميع الأمم، ورأيت الملوك والرؤساء والصفوة متنكرين في زي فتيات ريفيات ينشدن أجمل الأناشيد وأسماها، وأدليت بصوتي ورحت أتساءل عما ستسفر عنه الانتخابات غدًا، وأثر ذلك في بلاد العالم وبلادي، أما مراكز البحوث فقد تنبأت بوقوع كوارث.

حلم ٢٤٠

رأيتني في حجرتي أقرأ وفي الخارج يتصاعد هتاف بلغات شتى، فأغلقوا النوافذ وأسدلوا الستائر ولكن اقتحم الحجرة نفر من الأصدقاء وقالوا لن نغادر بيتك إلا وأنت معنا؛ فقد انقضى زمان العزلة.

حلم ٢٤١

دعيت إلى مبنى الإذاعة والتلفزيون بعد غياب طويل لمناقشة موضوع الإجهاض، وجاءت لمحاورتي سيدة من الرعيل الأول فتبادلنا التحية بحرارة وقلت لها: رب صدفة خير من ميعاد فلعلنا نحسن استغلالها هذه المرة. فابتسمت وقالت: لعلنا.

حلم ٢٤٢

وجه حبيبتي القمري يلوح لي في كل مكان، يستوي في ذلك أماكن العمل وأماكن اللهو والطرب وأماكن الراحة والاسترخاء، وحتى عند مطلع الفجر يلوح لي وجهها القمري وهي تسبح بصوتها الحنون.

حلم ٢٤٣

وجدتني أبحث عن دليل يثبت أن حبي كان حقيقة لا وهما، فقد رحلت الحبيبة في عز الشباب كما رحل الشهود وتغيرت معالم الشارع واختفت الفيلّا الوردية وحلت محلها عمارة شاهقة مكتظة بالسكان فلم يبقَ من الماضي الجميل سوى ذكريات لا دليل عليها.

حلم ٢٤٤

رأيتني واقفًا مع زملائي في الإدارة أمام المدير العام وهو يرمقنا باستياء ويتساءل: كيف هان عليكم أن تبيعوا الكراسي التي تجلسون عليها؟ فأجابه كبيرنا: إن الوقوف أحب إلينا من الموت جوعًا.

حلم ٢٤٥

وجدتني بين الجمع المحتشد لمشاهدة إمبراطور اليابان في زيارته لنا وتصادف أن الزعيم مصطفى النحاس كان يغادر عيادة طبيب أسنانه فرمقته العيون والقلوب حتى توارى داخل سيارته، وعند ذاك فكرت في أن للرجلين مأساة واحدة وإن اختلفت الأسباب.

حلم ٢٤٦

رأيتني أزور السيدة « م » لأطمئن على صحتها، وكنت على صلة وثيقة بأولادها وعلى علم بالخلافات التي تفرق بينهم، وراح كل فريق يتهم الفريق الآخر بأنه السبب في مرض السيدة الطيبة أمهم، فقلت لهم: إذا لم تصغوا لصوت الحكمة فإنكم ستقضون عليها.

حلم ٢٤٧

رأيتني مع بعض أصدقاء العباسية نستعد لمشاهدة الاحتفال بالمولد النبوي الشريف، وفي الطريق مررنا على بيت الحبيبة فنفخ فيَّ نشوة ملأت جوانحي، وفي ساحة الاحتفال طفنا بالسرادقات وسمعنا أناشيد صوفية، وعند نصف الليل انطلقت الصواريخ وتفجرت في السماء وهوت في شكل لآلئ من الأنوار ترسم أشكالًا شتى أضاءت القبة السماوية ورجعنا وما تزال النشوة تملأ جوانحي.

حلم ٢٤٨

رأيتني بين الجموع التي تزور المعرض الزراعي الصناعي السنوي وتشاهد معروضاته، وإذا بالزعيم مصطفى النحاس يزور المعرض فالتفّت الجماهير حوله وهتفت باسمه فاقتحمت قوة من الأمن المعرض وانهالت بالعصي على الجماهير ثم أطلقت بعض الطلقات النارية. وقد استُشهد في ذلك اليوم طالبان، وكان أحدهما ابن رئيس القوة، وظل ذلك حديث الجماهير.

حلم ٢٤٩

وجدتني مع الأسرة في بيت العباسية فطفنا بالحجرات حتى صعدنا إلى السطح، وهناك وجدنا بعض برطمانات مملوءة إلى نصفها مادة زيتية وترقد فيها عقارب ميتة، فقالت أمي: هذا علاج لمن تلدغه عقرب، ونظرت من فوق السور الخلفي فرأيت أمامي وإلى يساري حقلًا بلا نهاية، وإلى اليمين تقوم غابة التين الشوكي وفي الشارع الموازي لها تجاورت ڤيلات رأيت بينها الڤيلا التي ستشهد فيما بعد أفراحي وأحزاني.

حلم ٢٥٠

انتشر الفول السوداني إنتاجا وتوزيعا واستهلاكا، وأصبح رجاله قوة في الوطن، وضاقت الحكومة بذلك فأصدرت قانونا يحرم إنتاج الفول وتوزيعه واستهلاكه، وكان رد الفعل شديدا فخرجت جموع المتظاهرين وعجزت قوات الأمن عن تفريقها فسقطت الحكومة وهوى النظام، وعاد ازدهار الفول ورجاله واستنبتوا أنواعا جديدة غزوا بها العالم وتوفرت الأموال، فتصدى العهد الجديد بكل قوة وأمانة للمشاكل السياسية والاقتصادية والبطالة والتعليم والصحة، وسميت هذه الثورة فيما بعد بثورة الفول المباركة.

حلم ٢٥١

رأيتني موسيقارا وصاحب فرقة أدعوها للتمرين في شقتي بالدور الأرضي لفيلا في بين الجناين، وقابلتني سيدة آية في الجمال وقالت لي إنها المقيمة في الدور الفوقاني، وإن الضجيج يمنعها من النوم، فقلت لها: هذا رزقي ورزق الرجال، فاقترحت عليَّ أن نحتكم إلى ضابط نقطة الشرطة وهي تقع عند ملتقى ثلاثة شوارع كلها بساتين وأشجار ويخيم على النقطة هدوء ملائكي، وعرضنا الأمر على الضابط فرأى حلا للإشكال أن يدعوني لإجراء التجارب في النقطة ودعى السيدة معنا، فقلت له: أخشى أن أعطل عملك، فقال لي إنه مضى عليه عامان في النقطة دون أن تدخلها مخالفة واحدة، فجئت بالفرقة وغنينا «بستان جمالك من حسنه»، وطربت السيدة وغنت معنا وكان صوتها عذبًا مثل وجهها.

حلم ٢٥٢

رأيتني ضمن جمهور يستمع إلى محاضرة الأستاذ « أ » ورأى أحد السامعين أنه يستهين ببعض المقدسات فوقف محتجا ومعترضا فاعتبر المحاضر هذا مصادرة لحريته وغادر المنصة، وثار بيننا جدل ونادى رئيس الندوة الجمهور إلى المناقشة والاحتكام للعقل، ولكن الجدل اشتد وأنذر بالاشتباك بالأيدي.

حلم ٢٥٣

هذا يوم الاحتفال بذكرى العقاد، وجمهور يتدفق إلى صالة الاحتفالات، والتقيت الدكتورة « أ » بعد غياب طويل وكانت ستلقي بحثا عن أسلوب العقاد وأنا عن شعره، ولكنها ذكرتني بأيام الدراسة حين جمعتنا آمال لم نستطع أن نحققها، فدعوتها إلى اللقاء بعد القيام بواجبنا فابتسمت ولم تنبس بكلمة ولكنها وافقت دون كلام.

حلم ٢٥٤

حصل ابن اختي على ليسانس الحقوق وأراد أن يمضي أسبوعا في الإسكندرية وسافر في الصباح الباكر ولكني وجدته أمامي عند الظهر فسألته عما أرجعه فقال: الحقيقة أن المنية وافتني وأنا أبحث عن غرفة خالية فجئت لنتبادل الوداع، وقد ودعته بدموع غزيرة.

حلم ٢٥٥

رأيتني أغوص في الحي الشعبي حتى بلغت عربة يد عليها ترمس وتستند إلى ذراعها امرأة عرفتها بصعوبة فأقبلت نحوي وسألتني كيف عرفت مكانها، فقلت: دلني عليه صديق من العهد القديم وحكى لي الحكاية كلها، فقالت بتأثر شديد: خسرت كل شيء وتنكرت لي الدنيا ولم يبقَ لي إلا هذه العربة لأضمن لقمة العيش، وقلت لها إني لن أتخلى عنها، فقالت وعيناها تغرورقان بالدموع: وأنا أعدك بالتوبة الصادقة.

حلم ٢٥٦

لم أنسَ حكاية صديقي «ح» الذي أنشأ له والده مكتبة في شارع هام وتوَّجها بأفضل الكتب ليبدأ حياته العملية واستخدم هو من ناحيته فتاة وسيمة لتساعده، وتمر الأعوام فتصبح الفتاة مالكة للمكتبة وتستخدم صديقي «ح» عندها.

حلم ٢٥٧

رأيتني أشاهد خواجة ينشئ محلا للحلاقة لصق المحل الذي اعتدنا الحلاقة فيه منذ طفولتنا، ولما انتهى منه أعلن أنه سيخصصه للنساء، فقلت: الخواجة يجهل تقاليدنا وسيخسر ماله، ولكن عروسا جريئة ذهبت إليه فكانت تسريحة شعرها الفاتنة خير إعلان للخواجة فأصبح مكسبًا لكل العرائس ثم النساء والآنسات، وانقضَّ (الخواجة) على حلاقنا العجوز وعرض عليه شراء محله بثمن لا يقاوم فباعه المحل وأصبح الخواجة حلاق النساء والرجال الذي لا منافس له.

حلم ٢٥٨

هذا أبي يغضب على أمي ويطردها من البيت فأثور ثورة جنونية وأقول له: كيف تطردها من بيتها؟ فلطمني على وجهي فازدادت ثورتي حدة، وخاف أبي من الفضيحة ومن الجيران وقال لي: اذهب وأحضر أمك، ولكنني صرخت في وجهه: اذهب أنت أحضرها بنفسك، فذهب أبي إلى بيت جدتي وعادت أمي كريمة مكرَّمة.

حلم ٢٥٩

سافر زوج حبيبتي « ب » لحضور مؤتمر علمي فدعوتها إلى مقابلتي ورحنا نتمشى في حدائق القبة وإذا بنا نرى رجلا مقبلا من بعيد فارتعشت حبيبتي وقالت: هذا قاضٍ وصديق زوجي، فاتفقنا على السفر إلى الإسكندرية بعيدا عن الأنظار، وعندما بلغ القطار محطة النهاية رأينا القاضي واقفا على رصيف المحطة كأنه ينتظرنا، فخفنا العواقب الوخيمة وقررنا العودة والعدول عما نوينا.

حلم ٢٦٠

وجدتني أستمع إليها وهي تقول لي إن عطفك هو الذي شفاني من مرض قاتل، فقلت لها: أنا أيضا في حاجة إلى العطف، فقالت لي: اتفقنا ولكنك في السادسة عشرة وأنا في الخمسين، فقلت: إن عاما مملوءًا بالعطف خير من ألف عام مما تعدّون.

حلم ٢٦١

رأيتني أشاهد المرحوم « ش » وهو يقول لي: إني جئتك لأعتذر، فقد كنت أحب الإنجاب فأورثتك هما ثقيلا، فقلت له: لقد كنت صافي النية لم تخطر وفاتك المبكرة على بال أحد، وكنت تواظب على صلاة الفجر في مسجد سيدنا الحسين.

حلم ٢٦٢

رأيت عمي وزوجته جالسين أمام أبي ويقولان: نحن نخطب ابنك لابنتنا، فقال إنه أمامه مشوار طويل كي يستعد، فقالا: البركة فيك (ساعِده) كما ساعدت إخوته، فقال لهما: نحن في أزمة الآن، وأنا أعاني، فخرجا خائبَي الأمل، ولما توفي أبي زارنا عمي وهو يبكي فتساءلت: أهي دموع الحزن أم دموع الندم؟

حلم ٢٦٣

رأيتني أجلس مع قريبتي وهي تقول لي: لا يعيب الأم أن تختار الرجل المناسب لابنتها، فقلت لها: أنتِ تعرفين ظروفنا، فقالت: لن نكلفك مليما واحدا، فقلت: وهذا ما أرفضه رفضا قاطعا.

حلم ٢٦٤

ذهبت إلى الإسكندرية لأقضي شهر العطلة وفتحت الكابينة ورحت أتلقى الجو الجميل ومرت بي فتاة إفرنجية واستأذنت في خلع ملابسها في الكابينة فأذنت لها، وكان ذلك بدء صداقة ستدوم شهرًا ثم يذهب كل منا إلى حال سبيله، وانقضى الشهر السعيد فكتبت لها رسالة توديع ومضيت نحو السيارة المنتظرة فإذا بداخلها تجلس الفتاة، فابتسمت وسألتني: ماذا أخّرك؟

حلم ٢٦٥

وجدتني واقفا وسط الجموع على رصيف المحطة والقطار ينتظر وهو قسمان: قسم للعموم كثير الضوضاء تفوح منه رائحة الأطعمة الشعبية، وقسم بالغ النظافة والأناقة، فقلت لصاحبي: القسم الأول لا يهيئ الجو المناسب لعملنا، فقال صاحبي: ولكني ألمح في القسم الثاني بعض خصومنا، فقلت له: إني مستعد للتحدي.

حلم ٢٦٦

وجدتني في حديقة الأسماك وصاحبي يقول لي: إنها على أتم الاستعداد للرجوع ووعدتني خيرا، فقلت له: لم أعد أثق في وعودها، فقال لي: لا بد من قدر من حُسن الظن ما دمت حيا.

حلم ٢٦٧

دقت طبول الفرح في البيت القديم واجتمع الأهل وكانوا يغبطونني على خلو بالي، فلا أسرة ولا أولاد، فطلبوا مني أن أعرض بعض ما أملك من فنون التهريج، فرقصت حتى أذهلتهم وأسمعتهم أغاني لا تسمع عادة إلا في مواطن السوء والفجور، ولما انتهت السهرة وجدتني وحيدا مع الليل وفي طريقي إلى المسكن الخالي.

حلم ٢٦٨

وجدتني بين جماعة من الأصدقاء وهم يعلنون نيتهم على الهجرة ويدعونني للرحيل معهم، ولكني اعتذرت طبعا، وكان ثمة جماعة أخرى ترحل سنويا للمشاهدة والاعتبار وترجع أكثر معرفة ونفعا فانضممت إليها.

حلم ٢٦٩

دعاني المرحوم المهندس « د » لمشاهدة اختراعه الجديد، فجلست مع الجالسين، وقال المرحوم إنه محرك جديد وقد جرّبه بنجاح، ودخل سيارة صغيرة وجلس أمام عجلة القيادة وضغط على زر وإذا بالنار تلتهم السيارة وما فيها، وما زالت رائحة الموت تملأ خياشيمي.

حلم ٢٧٠

رأيتني راجعا من عملي إلى بيتنا بالعباسية ووقفت برهة أمام النافذة أنظر إلى ڤيلا حبيبتي بعد أن هجرتها بزواجها، وإذا بشقيقتي تقول لي: إن «ع» توفيت وهي تضع مولودها الثاني، فتجمدت وشعرت بأن الدنيا فقدت نورها.

حلم ٢٧١

رأيتني لاعب كرة قدم في المنتخب على رغم حداثة سني وضآلة حجمي ولكن سرعان ما جذبت الأنظار لمهارتي في المحاورة وإصابة الهدف، فراح المشاهدون يحرضون أبطالهم على كسري للتخلص مني، ووجدتني محاصرا، وإذا بالكرة تأخذني وتصعد بي حتى ذهلت جميع الأعين وهي تتابعني، ومازالت الكرة تصعد بي حتى توارت بين السحب.

حلم ٢٧٢

وجدتني مع مصباح علاء الدين فطلبت منه أن يرد الحياة إلى حبيبتي «ع» ولكن في الوقت نفسه رددت موظفا صغيرا يكتب ولا يدري كيف يطبع أو ينشر ما يكتبه ورأيت أيضا المظاهرة التي أفزعتني بهتافها: «تقدم يا روميل»، كما رأيت أعلام الفاشية والنازية ترفرف ناشرة اليأس الأسود بين الملايين، فرجعت إلى المصباح ورجوته أن يعيد الأمور إلى طبيعتها.

حلم ٢٧٣

وجدتني في قبو وثمة رجل قادم ظننته لأول وهلة متسولا لرثاثة ملبسه وتعاسة وجهه، ولكن سرعان ما عرفته وهرعت إليه وسلمت عليه بحرارة فدمعت عيناه وقال لي إنني أول زميل لا يتجاهله ولا يشمئز منه، فسألته عن الحكاية فقال إن أحد الحساد وشى به فضبط في غرزة وحكم عليه بعام في السجن، وهناك شوهه المكان والمساجين وفقد الماضي والمستقبل، فسألته عن الزميلة التي ينوي الزواج منها فقال إنها تجاهلته وإنه لا يلومها على ذلك؛ إذ كيف يمكن أن تقدم عريسًا لأبيها من أصحاب السوابق ومدمني مخدرات؟! فقلت له: ولكن موهبتك لا يمكن أن تتجاهلك، فقال: دعنا من ذلك واسمح لي أن أذهب قبل أن يراك أحد معي فيظن بك الظنون.

حلم ٢٧٤

رأيتني في حديقة الأورمان والذكريات من حولي كالأشجار ونحن نسمع الشعر والأغاني ونتبادل نظرات الحياء مع الزميلات أو نتظاهر هاتفين بالحرية مخضبين الأعشاب بدماء الشهداء.

حلم ٢٧٥

رأيتني أقابلها بعد أن تقدمنا في العمر وتجاوزنا فترة الحياء، فقالت لي إنها في مطلع شبابها تمنت أن تتزوج مني، وإنها أتاحت لي الفرص لكي ألتفت إليها ولكنني كنت أمر بها كأني في غيبوبة، وتذكرت أن الغيبوبة كانت غيبوبة الحب الأول الذي وهبني من المسرات مثل النجوم ومن الأحزان مثل السحب.

حلم ٢٧٦

دعيت لأكون عضوا في لجنة امتحان القبول في معهد موسيقى للبنات فذهبت مرتديا جلبابا بلديا لأرتاح من البدلة والكرافتة وغيره، وكانت مديرة المعهد خطيبتي فلما رأتني في الجلباب قطبت وقالت: يحسن بنا أن نظهر بمظهر لائق حتى تتصور الفتيات أنها مقبلة على دراسة جادة لا على لهو ولعب، وهمست في أذن أحد أعضاء اللجنة أنها تريد أن تعلمني الأصول، فانقبض صدري، وكانت هذه المقولة السبب اللاشعوري في فسخ الخطوبة فيما بعد.

حلم ٢٧٧

وجدتني مع صاحبي في حديقة وهو يقول لي: أنا لا أشك في أنك كنت تحبها، فقلت له: كنت وما أزال أحبها، فقال لي: فكيف تراجعت في اللحظة الأخيرة. فقلت: وجدتها لا تخفي ميلها إليَّ فركبني خوف غامض وآثرت الهروب مع العذاب.

حلم ٢٧٨

وجدتني أعشق عن بُعد فتاة تلوح لي في شرفتها معلنة عن رشاقتها، وبالإشارة تواعدنا على محطة الترام، تقابلنا ولكني وجدتها على غير ما تخيلت فصُدمت، ويبدو أن خيبة الأمل كانت متبادلة فإنها لم تعد تظهر في الشرفة.

حلم ٢٧٩

في لحظة سعيدة دعيت للانضمام إلى الفريق القومي للعب الكرة، وفي الوقت نفسه تلقيت دعوة للسفر من أجل الحصول على جائزة، وتحيرت ماذا أفعل، وإذا بجارتي التي لم أكن أعلنت خطبتي لها بعد تعرض بجرأة السفر بدلًا مني، وهكذا بدأنا حياة مثمرة في الجد واللعب.

حلم ٢٨٠

وجدتني في حديقة أرضها مغطاة بالزهور، وفي مكان ما شجرة طويلة وحيدة. فقلت للبستاني: لماذا هي وحيدة؟ فقال لي: انظر إلى جمالها فلا مثيل له، وإلى رشاقتها فلا شبيه لها، وعشاقها لا يحيط بهم حصر، وضحاياها لا يحيط بهم حصر كذلك. فأي إنسان يجد الشجاعة للاقتران بها؟

حلم ٢٨١

وجدتني في الاحتفال بالمولد النبوي أتنقل بين معارض الحلوى، وقال لي الحلواني: خذ من هذه الحلوى البيضاء فبها يستقر القلب، وخذ من هذه الحلوى الحمراء فبها تنفتح أبواب السماء ويطير المرء بغير أجنحة.

حلم ٢٨٢

وجدتني أقرأ في حجرتي، وفي الحجرة المجاورة تتربع المرحومة أمي على سجادة الصلاة، وإذا بقريبتي الحسناء المرحومة «أ» تلوح عارية وهي تغني أغنية مؤثرة، فغضبت المرحومة أمي وقالت لها: لا تعطليه عن عمله.

حلم ٢٨٣

وجدتني في السوق العالمية أمام قسم العسل أسأل الموظف عن العسل «د» الذي كثر الإعلان عنه في الجرائد والفضائيات، فقال لي إنه متوفر ولكن غالي الثمن، ولدى البعض عسير الهضم، فابتعت منه ما أريد مصمما على هضمه.

حلم ٢٨٤

رأيتني أعود إلى زمن الحب الصافي حيث أتعبد في محرابه، ولكن لديَّ أيضا جولات خفية بين المراهقات تدفعني إليهن الرغبة المحمومة ثم يصدني عنها الشبع الثقيل والاشمئزاز اللزج والندم العميق، ولكي أتطهر أستحم وأصلي ثم أرجع إلى المحراب.

حلم ٢٨٥

رأيت فيما يرى النائم أني أملك قطعة أرض، سرعان ما قام نزاع عليها بيني وبين قوم آخرين، ولجأت إلى القضاء فحكم بأني المالك الوحيد للأرض، ولكنهم لم يحفلوا بهذا الحكم، واستمر النزاع وتلقيت تهديدات بل ووقع اعتداء عليَّ وأنا عائد إلى بيتي ليلا، وسارت القضية عامة وأنا لا أتنازل عن حقي المشروع.

حلم ٢٨٦

رأيتني في مظاهرة صامتة تملأ الشوارع والميادين، ولمحت بين المتظاهرين أناسا ممن رحلوا عن دنيانا في أزمنة مختلفة، وإذا بهم يخرقون الصمت ويحولون المظاهرة إلى مظاهرة هاتفة بهتافات عدائية، وتكهرب الجو وأنذر بالخطر.

حلم ٢٨٧

رأيتني مع الحرافيش في عربة قطار تتصدرها الدكتورة « س » تتحدث عن أنواع الحب، وبعد ذلك تقول: سأحدثكم الآن عن كيف تختارون الحب المناسب، وإذا بالقاطرة تنفصل عن بقية القطار آخذة معها الدكتورة وتنطلق فنجد أنفسنا نتخبط في الصحراء على غير هدى.

حلم ٢٨٨

رأيتني مع بعض المثقفين في بيت الصحافي « م » وهو يحدثنا عن أنواع العذاب الذي ابتلي بها كعذاب الطفولة والمراهقة والشباب والكهولة ويقول: وثمة عذاب يلاحقني من آن لآن لا أدري له سببا وقد دعوتكم لنكشف معا سر هذا العذاب، قال ذلك وأسلم الروح، فشغلنا بموته عن أي شيء آخر.

حلم ٢٨٩

وجدتني في سرادق لا مثيل له في طوله وعرضه يتصدره الزعيم سعد زغلول وهو يجمع الوفديين الأحياء والأموات والمفصولين من الوفد وباشوات الأحرار الدستوريين والمستقلين وبقية الأحزاب، ويقول سعد إنه طلب مقابلة المسئول الأول وسيذهب إليه بصحبته شعراوي باشا وعبد العزيز فهمي ومصطفى النحاس ويقدم إليه مطالب الأمة، فقام الحاضرون مصفقين هاتفين.

حلم ٢٩٠

هذا رجل ميسور الحال ومتزوج من امرأتين جميلتين، يذهب إلى بيته في آخر النهار فيجد المرأتين على أحسن حال والمدفأة مشتعلة الجمرات والجوزة مغسولة من الداخل والخارج والعَشاء مُعدًّا، وتدور الجوزة وتدور الرءوس وتتحدث المرأتان بما سمعتا في السوق، فيقول الرجل: الدنيا بخير ومصر المحروسة بخير، ولا يقول غير ذلك إلا الحاقدون. ثم يقدم العَشاء وهو مكون من لحمة رأس وطعمية وجبنة قريش وفول أخضر، أما الطبق الرئيسي فهو البسبوسة.

حلم ٢٩١

رأيتني مع المرحوم المستشار « أ » ومعنا مندوبة الوزارة التي ندبت لفرز مستحقاته في أوقاف أمه، وقدمت لصديقي المستشار الفتاة باعتبارها خطيبتي فدهش وقال: لا أحد يعلم أنك خاطب، فقلت: إننا أجلنا إعلان الخطوبة حتى تنتهي الحرب ويرجع أخي بالسلامة.

حلم ٢٩٢

رأيتني في معرض الفنان « ص » أمام صورة لمعبودتي « ع » فقلت للفنان صاحب المعرض: ثمة تغيير في ملامح وجهها، فقال لي: إن هذا من مقتضيات الفن فهو لا ينقل الواقع كما هو، فقلت له: ليتك أبقيت على الأصل فهو مثل أعلى لا يجوز تحريفه. ولم أغادر موقفي أمام الصورة ولم أحول عينيّ عنها.

حلم ٢٩٣

رأيتني ألعب في فريق مصر في أهم مباريات السنة، ولمحت بين صفوة المشاهدين « ع » مع زوجها فبذلت أقصى ما لديَّ من براعة حتى هتف الجمهور باسمي فسعد بعض الوقت قلبي الحزين.

حلم ٢٩٤

رأيتني واقفا أمام مفتش الضرائب فأقدم له بيانا بأعمال السنة ويتفحصها بوجهه الصارم ويسجل الضرائب المطلوبة وأذهب إلى كهف الأموال الواردة وهو مكون من موظفين وخزائن، وقدمت الضرائب المطلوبة لأحد الموظفين فراح يعدّها، ولاحظت أن موضع أصابعه مخالب فاقشعر بدني فقال: نحن نعلم أننا غير محبوبين ولكننا نجمع الأموال لتنفقها الدولة على التنمية، فسألت: وأين هي التنمية؟ فأشار إلى باب فذهبت إليه ودخلته فاستقبلني رجال أشداء وطرحوني أرضا وانهالوا عليَّ ضربًا بالعصي.

حلم ٢٩٥

في الصباح الباكر أتأهب لمغادرة البنسيون فأكتشف أني فقدت ساعتي، وفي البهو فكرت في إبلاغ الشرطة وإذا بحبيبتي « ب » تقف أمامي، وتساءلت: ماذا جاء بها؟ ولم أكن رأيتها منذ زواجها، وتبادلنا حديثا سريعا وذهبت. ونظرت إلى الببغاء في قفصه المدلى من السقف وقلت له: أنت الذي يعرف كل شيء عن ضياع ساعتي، فقال الببغاء: مازلت أحبك يا فلانة، فارتجف قلبي لأني قلت هذه الجملة للفتاة، وعدلت نهائيا عن إبلاغ الشرطة وحملت حقيبتي وغادرت البنسيون وصوت الببغاء يطاردني قائلا: مازلت أحبك يا فلانة.

حلم ٢٩٦

أمام بيت صديقي « ث » رأيت خادمه يغادره ودماؤه تسيل فقال لي: انظر كيف يعاملني صاحبك لمجرد أني تأخرت دقيقة في إعداد الشاي، وذهب، ودخلت فوجدت صاحبي في نوبة من نوباته وهددني بإطلاق النار، فغادرت البيت وجاء أهل الخادم وقالوا لي: صاحبك يتصرف كأن البلد بلا قانون. ودخلوا عليه فأطلق النار فرموه بالأحجار من كل جانب حتى سقط فاقد الوعي.

حلم ٢٩٧

رأيتني جالسا في مقهى أتناول طعامي، وعلى مقربة تجلس امرأة من نساء الليل وكانت تنظر إلى الطعام بنهم، فدعوتها بإشارة فلبت الدعوة دون تردد وانقضَّت على الطعام بنهم، فانطفأت رغبتي وصممت على التراجع ولكنها اعترضت وقالت: إذا لم تقم معي فسيعتبر نوعا من التسول وأنا أرفض بكل شدة أن أكون متسولة.

حلم ٢٩٨

رأيتني أسير في الظلام وشبح يتحرك هنا وآخر هناك فامتلأتُ رعبًا، ولجأتُ إلى تمثال سعد زغلول فوثب الزعيم إلى الأرض وأيقظ الأسد الذي راح يزأر فإذا بالأشباح تختفي وإذا بالطمأنينة ترجع إلى صدري، فشكرت الزعيم الجليل وعبرت الجسر في سلام.

حلم ٢٩٩

رأيتني في زيارة لليابان ومضى بي المرشد من منظر عجيب إلى منظر أعجب وقال لي: إن كثيرين لن يتصوروا أن تصلح اليابان للحرية والديمقراطية، وها هي في طليعة الأمم في الحرية والديمقراطية. فعاد إلى صدري الأمل بعد التشاؤم.

حلم ٣٠٠

رأيتني أنا وزميلي في إحدى إدارات الوزارة وقد خلت الدرجة الرابعة، فاقترح رئيسنا أن يعقد لنا امتحانا ويقترح ترقية المتفوق، وإذا بموظفة تنقل من وزارة أخرى وترقى في الدرجة فغضبنا طبعا وقررنا تقديم شكوى لوكيل الوزارة، ولكننا ذهبنا لاستقبال الموظفة الجديدة كما تقضي اللياقة، ومع أن ملف خدمتها يؤكد أنها عذراء لم تتزوج إلا أن منظرها وشى بجمال امرأة تامة النضج، فعدلنا عن تقديم الشكوى.

حلم ٣٠١

رأيتني صبيا دون السابعة، وكان أخي الأكبر شارعا في الزواج، وعلى سبيل المداعبة قال لي: أنت بحكم سنك تدخل حرم أي بيت من الجيران، فما رأيك في فلانة وفلانة وفلانة أيتهن تختار عروسا لك؟ فأجبته بصدق وبراءة: أختار الثلاث معا. وضحك أخي.

حلم ٣٠٢

رأيتني سكرتيرا للمجلس الأعلى لوزارتنا، وانعقد المجلس وإذا بالسعاة يدخلون حاملين الصواني المليئة بالفتة واللحم وينقض عليها الأعضاء فيمسحونها مسحا، ثم قدمت الموضوعات وتمت الموافقة عليها وانفض المجلس ورجع رئيسه إلى حجرته بالوزارة، وبعد انصراف الموظفين حضر صديق الرئيس الحميم الموسيقار محمد عبد الوهاب متأبطا عوده وراح يغني:

«غلبت أشكي وغلبت أبكي لا شكوى نفعت ولا بكايا».

حلم ٣٠٣

وجدتني مرة أخرى في هذا اليوم التاريخي أستمع إلى بيان الجيش الأول، وذهبت إلى الوزارة فلم أجد في المكتب أحدًا، وجاء الوزير الجديد لأول مرة وطلب لقاء موظفي مكتبه، فذهبت وقلت له: لا أحد في المكتب سواي، فسألني عن عملي فقلت: السكرتير البرلماني. قال لي: وأين البرلمان؟ فقلت: يبدو يا معالي الباشا أنك لم تعرف بعد بعصيان الجيش، فنظر إليَّ غاضبا فشغّلت الراديو الموضوع بجانبه وسمع نداء الجيش فزايلته دلائل العظمة وغادر الحجرة مهرولًا.

حلم ٣٠٤

وجدتني فوق سطح البيت القديم أعد النجوم في ليالي الصيف أو أسبح في ضوء القمر، أما في ليلة القدر فيزفر صدري أمانيه فتضيء الظلمات.

حلم ٣٠٥

وجدتني بين أفراد الأسرة ومضى كلب أبيض صغير كأنه وردة بيضاء متفتحة، وكنا نأخذه معنا للعب في الخارج فيتخاطفه الأصحاب ويستعيرونه في بيوتهم، فطاف أجمل بيوت الحي، وعند رجوعه كان يشمله الفرح ويرقص بزيه المخصوص ويقول بصوت حنون: حقا يا قلبي أنت لا تعرف راحة البال إلا في هذا البيت الصغير، فهنا تتردد على وجهك أنفاس الحب الخالص.

حلم ٣٠٦

رأيتني أسير مع أمي وهي توصلني إلى مدرسة خان جعفر الأولية فأجري إلى الشرفة وأتابع أمي وهي تسير نحو مسجد سيدنا الحسين وأقول لها معاتبا: كيف يهون عليكِ أن تسلميني كل صباح لهؤلاء الوحوش الذين ينهالون على أصابعي بالمسطرة لأتفه الأسباب ولغير ما سبب؟!

حلم ٣٠٧

اشتعلت غضبا واندفعت أجري كالمجنون فتجاوزت العباسية، وواصلت الاندفاع في الجمالية، حتى وصلت إلى مقام الأحبة وهم مجتمعون في الظلمة فعرفتهم بقلبي وارتميت إلى جانبهم وأنا ألهث وقلت لهم: أغيثوني لقد اقتلع المجرمون أشجار حديقتي الصغيرة لكي يحلوا محلها حجرة للبواب غير مبالين بما قلت لهم من أن حبيبتي نظرت يوما إلى الحديقة وابتسمت، وهيهات أن أحتمل الحياة بلا حديقة ولا ابتسامة.

حلم ٣٠٨

المتحدث في التلفزيون صديقي المرحوم « أ » يقول إنه حصلت أمور تضطره إلى بيع سيارته، وهي سيارة عزيزة وله فيها ذكريات ويعز عليه أن يستعملها شخص سواه، ولكن ثمة شرطًا، فسألت عن الشرط فقال أن تشمل برعايتك أرملتي.

حلم ٣٠٩

وجدتني في حجرة المومياوات بالمتحف المصري بصحبة أمي، وكانت تتأمل ما حولها وتقرأ الفاتحة على أرواحهم، ثم وقفت أمام مومياء امرأة وقالت لي: إذا أردت أن تتذكرني بعد وفاتي فما عليك إلا أن تقف أمام هذه السيدة وتتلو الفاتحة.

حلم ٣١٠

ذهبت مع صديق إلى المسرح القومي، وكانت بطلة المسرحية تشبه حبيبتي « ب » فأعجبت بها وصفقت طويلا حتى قال لي صاحبي: ما هي إلا امرأة مذنبة ولا يعجب بها إلا المذنبون.

حلم ٣١١

رأيتني مع «ماري بيكفورد» في أحد أفلامها، وأني أحبها للشبه بين عينيها وعينَي حبيبتي «ع»، ويلعب دور البطولة معها «لون شاني» فيحبها ولا تبادله هي الحب فيذكرني حاله بحالي، غير أنه في الفيلم وجد لأزمته حلا، أما أنا فلا أجد حلا.

حلم ٣١٢

وجدتني في متحف الشمع مع غانيات الخديوي الساحرات وفاتنات العصور المختلفة، وسألت المرشد: كيف يحتفظ الزمان بذاته؟ فأجاب بأن السر يكمن في الاحتفاظ بدرجة برودة معينة، أما إذا اختل الميزان درجة واحدة فالحسن أركانه تتقوض ولا يبقى إلا التراب ونشارة الخشب.

حلم ٣١٣

رأيتني أعاصر البناء الجديد الذي يشيَّد مكان الكازينو وحديقته المترامية، وترامى البناء طولا وعرضا وارتفاعا حتى أطلقوا عليه هرم مصر الحديثة، وترددت في جنباته جميع اللغات حتى قال داعية الجماعة: غدا تشرق شموس وتدق طبول.

حلم ٣١٤

رأيتني أسير وحدي في شارع الجبلاية في الصباح الباكر، وإذا بسيارة تجيء من ناحية كوبري الجلاء مندفعة بسرعة جنونية مترنحة يمنة ويسرة، فاحتميت وراء جذع شجرة ضخم فاتجهت نحوي واصطدمت في الشجرة وغبت عن الوعي فترة وجيزة، ولما أفقت وجدتني فوق غصن ضخم في أعلى الشجرة ونظرت إلى أسفل فرأيت السيارة مهشمة، ولم أرَ كيف نجوت ولا كيف ارتفعت.

حلم ٣١٥

وجدتني في سفينة نيلية معطلة عن العمل لغلبة الفئران عليها وبيدي عصا ذات رأس حديدية وبها نفاثة غاز، فرحت أقتل الفئران ضربا وخنقا حتى طهرت السفينة فعادت إلى القيام برحلتها إلى القناطر الخيرية وخاصة في الليالي القمرية.

حلم ٣١٦

رأيتني في الشرفة أنتظر صديقي « ط » قبيل أيام من وفاته وجاء متأخرا على غير عادته ومتجهما على غير طبيعته، وارتمى على المقعد وأجهش في البكاء ثم قال: طالما تمنيت أن أتزوج، وماذا كنت أنتظر؟!

حلم ٣١٧

رأيتني أسير في جنازة أبي وألمح بين المشيعين نفرا من الإفرنج فتذكرت حالة أبي المالية، وهكذا عرفت آلام القلق وعذاب الأرق.

حلم ٣١٨

رأيتني أتلقى رسالة بالبريد من «ع»، تدعوني الرسالة إلى الصلح وغسل النفس من الأكدار والأحزان، فوجدتني جالسا تحت الشجرة في الحقل المترامي، وانطلقتْ من قلبي ضحكة صافية ورحت أطير بغير جناح.

حلم ٣١٩

وجدتني في مدينة الظلام والأشباح أعمل مع العاملين في الحفائر، وصاح المرشد إننا عثرنا أخيرا على المصباح المنير، وتبدت محبوبتي وهي ترسل نورها في جميع الجهات فتجلت المدينة في أبهى صورة وأشرقت الوجوه بالبسمات.

حلم ٣٢٠

رأيتني أحتفل مع الحبيب لعودته من رحلة موفقة، ودُعيت للغناء فلبيت. غنيت: «أمانة يا رايح يمّه تبوس لي الحلو في فمّه، وقل له عبدك المغرم ذليل»، وجاءونا بالعشاء صينية من الذهب الخالص رصت عليها أطباق المشهيات من أغاني شيراز، أما الطبق الرئيسي فكانت السورة المباركة: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾، وقال الحبيب: هذه الليلة خير من ألف شهر.

حلم ٣٢١

رأيتني في ميدان الأوبرا فقابلت الأستاذ زكي نجيب محمود، فسلمت عليه بحرارة وسألته عن أحواله فقال لي إنه وجد أخيرا مسكنا في ميدان الأوبرا مكونا من حجرتين، وأنت تعلم أن بيوت وسط المدينة ممتازة، وتزوجت ولكن لم أنجب، فقنعت بتلاميذي الذين يزورونني في بيتي أو في مقهى الحرية الكائن بالميدان.

حلم ٣٢٢

رأيتني سواقا لعربية سوارس التي أصبحت تسير بالكهرباء بدلا من الخيل، أنطلق من العباسية مخترقا الحسينية فالجمالية فبين القصرين والنحاسين وبيت القاضي، ثم أقف للاستراحة أمام بيتنا القديم، وكان جميع من يركبون عندي من الجنس اللطيف، وفي مقدمتهن جميلات درب قرمز وحِسان العباسية، ووقفت أنتظر أن تشغل المقاعد ويتساقط عليَّ زهر «دقن الباشا» وأنظر إلى الشرفتين فأجد وراء الخصاص خيال أمي.

حلم ٣٢٣

رأيتني ألعب عشرة طاولة مع الزميل « ي »، وضبطته وهو يغش، وكدنا نشتبك في عراك لولا أن تدخل أستاذنا « ت » فصالح بيننا، ودعوتهم لعشاء عند العجاتي الكبابجي ثم ذهبنا إلى مقهى الفيشاوي حيث غنى زميلنا « م »: «يوم الهنا حبي صفا لي».

حلم ٣٢٤

رأيتني صبيا ممسكا بيد أمي ونحن نسير أمام مدرسة عليا ويلوح لنا أخي الأكبر فتدعو أمي له بالتوفيق وطول العمر، ثم أجدني مع أمي أمام المدرسة الحربية وأخي الآخر الطالب بها يحمل البندقية ويذهب ويجيء، فتحملني أمي صندوقا من الكرتون مليئا بالبقلاوة والكنافة من صنع يديها، فأذهب به وأناوله لأخي فيتسلمه باسما دون كلام وأرجع إلى أمي جريا.

حلم ٣٢٥

رأيتني صبيا جالسًا أمام أبي المتربع على الكنبة بعد صلاة العشاء أحدثه كالعادة عن أخبار اليوم؛ فقلت له إن أخي الأكبر أخذني أنا وأمي وزرنا المتحف، وحدثته عن التماثيل والتحف، فقال أبي لأمي ها أنتِ تزورين المتحف الذي لم أزره أنا ولن أزوره.

حلم ٣٢٦

رأيتني طفلا بين السادسة والسابعة وأمي في البيت القديم تستقبل أم علي الداية وحفيدتها هنية في مثل سني، فانتهزت فرصة انهماك المرأتين في الحديث وأخذت هنية من يدها إلى السطح واقترحت عليها أن نلعب لعبة العروس والعريس، ولكن أمي أدركتنا قبل أن يبلغ العرس ذروته.

حلم ٣٢٧

رأيتني طفلا جالسا بين أمي وعمتي، وعمتي تروي لي قصص الريف، لصوصه وعفاريته، ثم اختفت فسألت أمي عنها فقالت أمي لي إنها رجعت إلى بيتها وأولادها في الريف، فظهر على وجهي الحزن، فقالت أمي معاتبة: ألست أروي لك كل ليلة عجائب القصص عن الإنس والجن؟!

حلم ٣٢٨

رأيتني أطل من النافذة فأرى جميع الحرافيش أمام الباب فأنزل وأسلم عليهم وأدعوهم إلى الفيشاوي، وهناك أذهب لأعد لهم العشاء، ولما أرجع أجد المكان خاليا، فسألت النادل: أين ذهب الأصدقاء؟ فأجابني: إنني جئت وحدي.

حلم ٣٢٩

رأيتني جالسا مع أسرتي وإذا نوبة من البكاء تنتابني بلا سبب فكف أهلي عن ضربي وإهانتي لبلادتي في الدراسة، ومضت أمي إلى الحسين والسيدة وزارت معي الشيخ لبيب فكتب لي حجابا، وبعد حين توقف البكاء وخلقت خلقا جديدا أدهش أهلي والمدرسين لاجتهادي وتفوقي.

حلم ٣٣٠

دخلت المحل وطلبت فطيرة، ودخلت محبوبتي «ب» مع زوجها وطلبا فطيرة أيضا، فجاء النادل لهما بالفطيرة واعتذر لي بأن الفطائر نفدت، فغادرت المكان وهمت على وجهي حتى نهشني الجوع وصادفني محل فول وفلافل فدخلت.

حلم ٣٣١

رأيتني أمام سراي الزعيم « ف » وهو يتجه إلى أخيه الصغير ويقول له: لا تظن أن قرابتنا تحميك من جريمتك، وأعطاه مسدسا فصوبه الشاب الصغير إلى رأسه وأطلق النار وأجهش الباشا في البكاء.

حلم ٣٣٢

رأيتني في الجمالية وأهلها منطلقون للإدلاء بأصواتهم في الانتخابات، وإذا بالزعيم مصطفى النحاس يخطب داعيا لوضع دستور جديد يقوم على مبادئ الحرية والعدالة الاجتماعية والوحدة الوطنية واحترام حقوق الإنسان.

حلم ٣٣٣

رأيتني ألقي محاضرة في قاعة متسعة مكتظة بالبشر عن الحب والزواج، ثم جاءتني بطاقة بغير إمضاء يسأل مرسلها عن رأيي فيمن يضحي بالحب والزواج حفاظا على فنه، فدافعت عن الحب والزواج وضربت الأمثال وعيني تبحث عمن ظننت أنها صاحبة البطاقة، فكان قلبي يخفق بشدة.

حلم ٣٣٤

رأيتني بياعا أدفع أمامي عربة يد وأنادي على بضاعتي بصوت جميل ولحن مبتكر:

«العراجين يا ملانة».

حلم ٣٣٥

رأيتني أتجول في الأزمنة، فهذه أمي تستقطر العطر من الورد والزهر وتملأ القوارير من العطر حتى الفجر، ولما حضر الموت ابن أختي رحت أودعه فقال لي: إنه ذاهب ليستقطر العطر من خمائل الورد.

حلم ٣٣٦

رأيتني في السوق أبتاع قرطاسا من السمك الصغير وفي البيت امتدت سمكة طولا وعرضا وتألقت تماما وغنت:

«أنا كنت صياد سمك وصيد السمك غية».

حلم ٣٣٧

رأيتني في مكان الثور أدير ساقية معصوب العينين، ثم فككت العصابة فرأيت على بعد خطوات جميلةً ترقص فدب فيَّ نشاط جديد وتدفقت المياه إلى القناة وأنا أحاول الوصول إلى الجميلة قبل أن تخور قواي.

حلم ٣٣٨

وجدتني مع أمي وهي تهديني سندوتشات فول وسندوتشات بيض، ولما كان البيض محرما عليَّ بحكم الطب فقد تناولت الفول ووزعت البيض على الشحاذين، فقال الناس: يا له من محسن كريم.

حلم ٣٣٩

رأيتني في سرادق مع آخرين ونحن ننتظر نعش المرحوم الدكتور «غ»، ولكن حدثت معجزة إذ ردت الروح للمتوفى وجاءنا فاستقبلناه بالهتاف والتصفيق ودعانا إلى الغداء، ففريق طار من الفرح وآخر لم يدر كيف يواري شعوره بالخيبة.

حلم ٣٤٠

رأيتني في بيت واحد مع «ب» واشترطوا عليَّ ألا أبرح المكان إلا حين يسمح الطبيب، وكان الطبيب يمر كل صباح، وبعد عشرة أيام سمح لي بالخروج حين أشاء وممارسة حياتي الطبيعية.

حلم ٣٤١

رأيتني عند قاعدة تمثال عالٍ للزعيم عبد الناصر وقد أجروا مسابقة لاختيار اسم له فاشتركت فيها، وكان الاسم الذي اقترحته «نصير الفقراء».

حلم ٣٤٢

استقبلت في بيت العباسية جميع الحرافيش ورحَّبت بهم أمي وقالوا لها إنهم غير راضين عن بقائي بلا زواج حتى جاوزت الأربعين، فقالت: لعلكم تتهمونني أنا بأني السبب كما يفعل كثيرون، ولكني بريئة وهو المسئول والسبب.

حلم ٣٤٣

رأيتني في كازينو اسبورتنج أطل على البلاج وأرى في أول كابينة الحبيبة « ب » مع زميلات لها في فساتين خفيفة، فلم يكن عند إحداهن شجاعة الخادمة التي خلعت جلبابها وألقت بنفسها بين الأمواج، ومرّ بي عراف هندي وبسطت له راحة كف يدي فقرأ الخطوط وقال لي: إنك تنظر الآن إلى رفيقة العمر. وقامت الحبيبة وصعدت إلى الكورنيش فهرعت إلى باب الكازينو وانتقلت إلى الكورنيش وأنا مصمم هذه المرة، ولكني لم أهتدِ إليها في الزحام.

حلم ٣٤٤

وجدتني في محل فول وفلافل وطلبت للإفطار فولًا مدمسًا، فجاءني النادل بطبق فيه فولات ولا شيء سوى ذلك، فسألته عن الإفطار فقال إنه نظرا لارتفاع الأسعار فقد جعلنا الخبز طلبا والزيت طلبا والليمون طلبا والملح طلبا والزيتونة المخللة طلبا، ولكل طلب ثمنه. فأدركت معنى الجوع.

حلم ٣٤٥

وجدتني أسير في شارع يبدو مرة كالعباسية وأخرى كالكورنيش بالإسكندرية، ورأيت رجلا يخرج من أحد المطاعم مفرطا في السمنة لدرجة لم أشهد مثلها في حياتي، وتزحلق الرجل فانحط على الأرض ولم يستطع الحركة، فأقبل عليه أهل الشهامة يساعدونه على القيام دون جدوى، وسألت أحد الواقفين عن هوية الرجل فقال لي: إنه الفقر.

حلم ٣٤٦

أخيرا وجدتني خاطبا للحبيبة « ب » واتفقنا على يوم لعقد القران، ولكني أصبت بأنفلونزا فطلبت تأجيل الميعاد، وإذا بهم يفسخون العهد ويعلنون خطبتها لعريس جديد، ووجدتني وحيدا مع حزني وغضبي.

حلم ٣٤٧

أقبل العيد الأكبر فاشتريت خروفا وأطلقته في الحديقة وواليته بالتغذية والتنظيف، ولما جاءت الساعة ووقف الجزار فوق رأس الخروف رأيت وجهه وقد حل به صورة فتاة مليحة مستسلمة فكرهت أكل اللحوم.

حلم ٣٤٨

رأيتني مع صحبة في صحراء الهرم في ليلة قمرية ومعنا بعض الأطعمة الجافة والمياه الغازية، وإذا بنا نرى شبحا قادما من الجنوب حتى اقترب فرأينا فيه هيكلًا عظميًّا، فجلس بيننا دون استئذان وأخذ أحدنا وسار به إلى مدخل الهرم ولم نعترض، وقلنا: لنهبط الطريق المؤدي للمدينة التي تبدت في هيئة مصابيح مضيئة منثورة تنبعث من جوانبها موسيقى وأغانٍ.

حلم ٣٤٩

رأيتني في الإسكندرية في زمن مضى، وقررت أن أبقى يوما بعد انتهاء الموسم فيا إلهي أين الفاتنات السابحات والموسيقى والرقص ومحلات الأطعمة والأشربة؟! لم يبقَ إلا الفناء والوحشة وزفير الرياح. وزمجرت الأمواج، وأقبلت موجة عالية فتكسرت على البلاج وتطاير شررها فغمر الكورنيش فجريت إلى الداخل والهواء يدفعني.

حلم ٣٥٠

رأيتني بين يدَي أبي الهول ويغمرني اكتئاب وخوف من المجهول، ولكني على غير المتوقع وجدت عطفا من الشرق والغرب فشكرت وصليت وتمنيت أن يمنّ الله على روحي بقطرة من الماء النقي الصافي، وعند ذاك عزفت الموسيقى لحن الطمأنينة.

حلم ٣٥١

رأيتني أعيَّن مفتشا ماليا، وسرعان ما قام صراع بين قلبي وعقلي، فقلبي يدعوني للرحمة وعقلي يدعوني للواجب، وقد انتصر القلب والرحمة ولكنني فشلت كمفتش مالي.

حلم ٣٥٢

فجأة اخترق الزلزال قلبي وجف حلقي وكانت ثواني كأنها أعوام ولكن الله سبحانه كتب لنا السلامة واختلفت الطوائف فقال المسلمون إن الله أكرم الخلق إكراما لهم، وقال المسيحيون إن السلامة كانت هدية لهم، وقال اليهود إنهم أحباب الله منذ القدم، واشتد الجدل واحتدم وكادت الفتنة أن تشتعل.

حلم ٣٥٣

وجدتني في جمعية الفتاة الحديثة لأكتب عنها تقريرا، ولفت نظري اسم مديرة الجمعية « ف . أ »، وتأكد ظني لما رأيتها، ورجعت في الزمن إلى حين كنت دون السادسة وكانت المديرة في العاشرة ولم تكن تكف عن مداعبتي، ولم أكن أكف عن حبها، وذكرتها بدرب قرمز فابتسمت الذكريات على شفتيها وراحت تسألني عن أمي وأخواتي وزميلات الحارة ولكن كما تقول الأغنية:

«عمر اللي راح ما هيرجع تاني». ولكن قلبي أفعم بالسعادة.

حلم ٣٥٤

رأيتني أقابل مصطفى النحاس بوصفه رئيس الوزارة الجديدة لأسأله عن برنامجه، فقال لي إن أولى مهامه السفر للمفاوضات، وثمة مشروعات قوانين قدمها للبرلمان عن استقلال القضاء ومحاكمة الوزراء ومجانية التعليم والنهوض بالصعيد الذي طال إهماله.

حلم ٣٥٥

وجدتني في حشد مكون من مليون شخص هي نسخ مكررة؛ فسُمرتهم غميقة وقاماتهم قصيرة وبدينة كأنهم براميل، وقسمات وجوههم غليظة، وإذا بالجيش يقدم تتقدمهم فرقة موسيقية تذيع لحنا يبعث في النفوس الرهبة والخوف، فتساءلت: ترى أهي مناسبة تاريخية أم جنازة قومية؟

حلم ٣٥٦

وجدتني في مكان غريب ولكنه يلوح كأنه موضع في حديقة، وإذا بها تقف أمامي مبتسمة وتقول بصوت ناعم: أخيرا التقينا. فأفعم سعادة وشجاعة. وقلت لها: غدا سأقابل والدك. وإذا بي أجد نفسي وحيدا حزينا، وقد استرددت ذاكرتي. ويمتد أمامي سور من الورد، وهي في الناحية الأخرى، ولم تكن وحيدة ولم تكن حزينة.

حلم ٣٥٧

رأيتني وأنا أرجو صاحبي « و » ليحدث قريبته مديرة المنطقة التعليمية كي تنقل ابنتي إلى مدرسة قريبة من البيت، ووعدني بذلك على الرغم من علمه بنفورها من الواسطة، وكان أن حدثت المعجزة وأمرت بنقل ابنتي إلى المدرسة القريبة، فطلبت المقابلة للشكر، وهناك في حجرتها وجدت امرأة حل فيها الوقار محل الجمال القديم، وقالت لي: لا داعي للشكر فإنما فعلت ما فعلت بداعي الشعور بالواجب. وقد حيرني قولها ومازال يحيرني كلما ذكرته.

حلم ٣٥٨

وجدتني في حفلة لأم كلثوم بصحبة الشيخ زكريا أحمد وقد بلغ الطرب منتهاه عندما غنت «وتميل عليه وتقول له ليه طاوعتني». وعند انتهاء الحفلة خرجت مع الشيخ زكريا نسير في شوارع القاهرة الفاطمية «وتميل عليه وتقول له ليه...»، حتى وصلنا إلى حارة بيت القاضي حيث كان ينتظرنا طاجن كفتة وصينية بسبوسة.

حلم ٣٥٩

وجدتني جنديا متطوعا في جيش الدفاع نقضي الليل في أطراف المدينة، وعند الفجر نصلي ثم نستمع إلى صوت العدو وهو يصلنا عبر الأثير فيتهمنا بالكفر ويتوعدنا بالويل.

حلم ٣٦٠

رأيتني تلميذا في سنة أولى ابتدائي واقترب مني المدرس وهو يلوح بالعصا وسألني عن معنى كلمة فإذا بي أجيب الإجابة الصحيحة، فذهل الرجل وأبعد عني العصا وسأل عن معنى كلمة أخرى، فأجبت الإجابة الصحيحة فقال لي: ماذا جرى لك؟ فقلت لم أعد أحتمل ضرب العصا والإهانات، فقال لي: براڤو عليك. ونظر إلى الفصل وطلب من التلامذة أن يصفقوا لي فدوى الفصل بالتصفيق.

حلم ٣٦١

رأيتني في السادسة في حنطور معي أمي وأختي «أ» في ثياب العروس ونحن متوجهون إلى بيتها الجديد، وهناك استقبلنا أهل زوجها وهو معهم وساروا بها إلى الداخل حيث ينتظر المأذون، ولما علم خالي بذلك غضب وقال: كيف يراها عريسها ويسير معها قبل أن يعقد الكتاب عليها؟ ولما يئست من عودتها إلى بيتنا قلت لخالي إني رأيتهما معا يلعبان الكوتشينة ويداعب خدها ويقبلها، وتوقعت أن يثور ثورة تردّها إلى بيتنا فإذا هو يضحك ويقول لي: لا تتلصص فهذا عيب وحرام.

حلم ٣٦٢

رأيتني في أول عهدي بالوظيفة ولي رغبة في الزواج وعملت بعد الظهر في مكتب صديق حميم لأضاعف مرتبي وإذا بزميل يقول لي إنه كشف عملي الثاني، فسألته: ماذا تريد؟ فقال: نصف إيراد العمل الإضافي، فشاورت أهلي فأجمعوا على وجوب أن أتخلى عن عملي الإضافي، وكانوا يتمنون تأجيل زواجي.

حلم ٣٦٣

رأيتني راجعا ليلًا إلى مسكني، وهناك أكتشف أن يدا عبثت بمحتويات المسكن فأخبرت القسم، وبعد أيام قال لي الضابط إنه تحوم الشبهات حول الناقد الدكتور « ع » فذهلت وقلت له إنه شخصية مرموقة، ومن نشاطه الفني والأدبي يربح أموالا طائلة، فقال لي: نحن لا نأخذ بما يقال، ولكن بما تنطق به الحوادث.

حلم ٣٦٤

رأيتني في ميدان محطة الرمل وإذا بي وجها لوجه مع السيدة « خ » فتصافحنا وقالت لي: ألا تزورني كالزمان الأول؟ فقلت لها: لقد تغير الزمان، فقالت ساخرة: الزمان لا يتغير ولكن الإنسان لا يثبت على حال.

حلم ٣٦٥

رأيتني في السادسة من عمري وجاءت فتاة قريبتنا وقالت لأمي: يا تيزة لقد اخترتِ لي زوجا خسيسًا، ثم جاء الزوج وهو قريبنا أيضا وقال لأمي: يا ست أم إبراهيم لقد اخترتِ لي زوجة متوحشة، ولما انفردت بأمي قلت لها: يا ست أم إبراهيم لقد اخترتِ لي زوجة متوحشة، فضحكت وخرَّجت قليلا من كربها.

حلم ٣٦٦

هؤلاء زعماء مصر وهم بالتوالي: عمر مكرم وأحمد عرابي ومصطفى كامل ومحمد فريد وسعد زغلول ومصطفى النحاس ومكرم عبيد ومحمد نجيب وجمال عبد الناصر وأنور السادات، وأنا أقوم بالخدمة فأقدم القهوة والشاي والسماء تقطر صفاء والجو غاية في الهدوء حتى يكاد يكون له عمق وأنغام.

حلم ٣٦٧

رأيتني في الأرض التي أشجارها تثمر البخور والعطور
وثمة امرأة جميلة تغني لا دوام لشيء إلا الله،
وأن الحب موسيقى الوجود وزينته، فيردد غناءها
جميع الأحباب.

حلم ٣٦٨

وجدتني أعمل «مسحراتي» فأدق الطبلة وأمر بالبيوت
وأدعو سكانها للاستيقاظ والاجتهاد لعلهم ينجحون
ويجبرون بخاطري.

حلم ٣٦٩

رأيتني عندما كانت المدينة تتحول إلى ملهى فاكتظت الشوارع والميادين بالنساء والرجال وهم يرقصون، وفي الجنبات عزفت الموسيقى الشرقية والغربية وانتشرت المطاعم والمشارب، أما الإدارة فكانت بيد فريق من النساء الجميلات، وقد عملت سكرتيرا عندهن وذبُت في الأشكال والألوان والأنغام.

حلم ٣٧٠

رأيتني أزور بيت جدتي وأراها بمجلسها بين الفرن والبئر، فرحبت بي كل الترحيب وقالت لي: تقبل دعائي أنت وذريتك وبخاصة المساجين منهم.

حلم ٣٧١

رأيتني في غابة التين الشوكي لأقرأ ألف ليلة وليلة بعيدا عن الأعين، وفتحت الكتاب فإذا بثعبان ضخم يزحف نحوي فهربت إلى ڤيلا معبودتي «ع» واختفيت في حديقتها.

حلم ٣٧٢

رأيتني أساوم رجلا لشراء سيارته واتفقنا على كل شيء، ولما جاء وقت التنفيذ صحوت من نوبة النسيان التي تنتابني فتذكرت أنني لا أعرف القيادة ولا رغبة لي في اقتناء سيارة.

حلم ٣٧٣

وجدتني في نافذة بيت العباسية أطل على غابة التين الشوكي وإذا برجل حافي القدمين يدخل الغابة تتبعه فتاة يبدو أنها بياعة يانصيب، فتابعتهما بدهشة وانفعال حتى ندت عني صيحة قوية فانفك الاشتباك واختفى الفاعلان.

حلم ٣٧٤

رأيتني أسأل أستاذي عن الثقافة فقال إن الثقافة لا حصر لها سواء في التاريخ أو الجغرافيا، ولكل شخص منها على قدر طاقته.

حلم ٣٧٥

رأيتني أتلقى دعوة عشاء من المرحوم محمود بك تيمور، وهناك رأيت العديد من الأصدقاء الأحياء منهم والأموات، وارتبكت لأني لا أستعمل إلا يدي اليسرى، ولكن المذيعة « ص » تطوعت لمساعدتي فقدمت لي طبقا حافلا بما لذَّ وطاب، ثم غنى صوت عذب:

«وحقك أنت المنى والطلب».

حلم ٣٧٦

رأيتني أهنئ صديقي الشاعر « أ » لاختياره رئيسا لمؤسسة السينما، ورحت أحدثه عن تجربتي القديمة في المؤسسة، ونصحته بالاهتمام بالوقت ليعمل كل يوم من الساعة الثامنة صباحا، فقال لي إنه يسكن الآن في مستعمرة بكوكب القمر ولا يستطيع أن يصل إلى المؤسسة صباحا قبل العاشرة.

حلم ٣٧٧

رأيتني أستقبل المرحوم الأديب « ي » فعاتبني لأني لم أسأل عنه طوال غيبته، فاعتذرت بسوء صحتي وسألته عما فعل في تلك الغيبة الطويلة فقال إنه كتب عشر قصص قصيرة هي أجمل قصص في الأدب العربي ورواية طويلة لا شك في أنها أعظم رواية عربية، ثم طلب مني أن أسمعه صوتي كما كنا نفعل قديما فغنيت له:

«عشنا وشوفنا كتير... واللي يعيش يشوف العجب».

حلم ٣٧٨

وجدتني مع إخوتي وكان أخي الأكبر يحدثني عن عقد قراني فقلت له: ما هذا الحزن العميق الذي يستحوذ على أمّنا؟ فقالت أختي الكبرى إنه بانتقالك إلى بيت الزوجية تصير هي وحيدة في العالم، فقلت: يمكن أن تقيم مع أي منا، فقالت: أمنا غريبة الأطوار ولا تقبل هذا الحل أبدًا.

حلم ٣٧٩

وجدتني في الديزل المنطلق من الإسكندرية إلى القاهرة وقبيل الختام دهمتنا هزة فظيعة توقعت بعدها انفجارا أو انشقاق أرض العربة، ولكن القطار توقف ونزلنا والليل يزحف، وهناك علمنا أن القطار صدم سيارة نقل كبيرة تعثرت وهي تعبر المزلقان، وتجرعنا كآبة ولم نكف عن التساؤل.

حلم ٣٨٠

رأيت أنني في ذكر من أذكار الصوفية أذهب وأجيء، وكان المنشد الأستاذ العقاد حتى تساقطنا على الأرض بين فاقد وعيه وآخر يكاد يفقده، ولما ساد الصمت غنى الأستاذ العقاد بصوت مؤثر:

«يا أهل مصر هنيئا لكم الحسين».

حلم ٣٨١

رأيتني أشاهد التغيرات الكبيرة التي حدثت في منطقتنا نتيجة لشراء شركة كبيرة بعض الحقول حول مساكننا، فقد رأينا وسائل إنتاج لا تخطر بالبال، وتضاعفت المحاصيل وتنوعت بصورة مذهلة، وأثَّر أناس الشركة في تقاليدنا وعاداتنا من بدء المدارس الأولية وحتى المساجد، وتمخض ذلك كله عن صراع لا يعرف الهوادة.

حلم ٣٨٢

رأيتني مع خطيبتي نشاهد المساكن ومحال الأثاث ثم تناولنا الطعام عند كبابجي مشهور وشعرت ذلك اليوم بسعادة لم أشعر بمثلها أبدا.

حلم ٣٨٣

رأيتني أسير مكتئبا حتى دفعني اليأس لزيارة الشيخ الفلكي، وبعد الأسئلة المعتادة عمل حساباته وقال لي: تعيش وحيدا وتموت وحيدا، فقلت له: ولكني لست وحيدا، فقال: أنا أعمل حساباتي ولا يخدعني الواقع.

حلم ٣٨٤

وجدتني في حديقة الأورمان مع نخبة من طلاب وطالبات الدكتور طه حسين، وسرعان ما حضر الدكتور وراح يعلمنا أصول الغناء الشرقي والغربي وجعل يغني ونحن نغني وراءه، وجاء السمّيعة من المصريين والأجانب، ثم جاء الإعلام من الصحافة والإذاعة والتلفزيون وأصبحت فرقة طه الغنائية أعظم الفرق.

حلم ٣٨٥

وجدتني مع أستاذي ووزيري الشيخ مصطفى عبد الرازق في وزارة الأوقاف، كان يشاور مدير المستخدمين في إيجاد وظيفة لي، فاقترح أن أكون سكرتير المجلس الأعلى للأوقاف، فسأل الوزير عمن يشغل الوظيفة الآن، فأجاب بأنه الأستاذ الأديب « ك » وكنت أنا من قرائه، فاعتذرت عن قبول الوظيفة، ووافقني أستاذي واستدعى الأديب « ك » وحيَّاه وأكرمه وتركه في وظيفته، وأنشأ في الميزانية الجديدة وظيفة سكرتير برلماني لي، وتأكد لي ما عرفناه عن أستاذنا من نبل وعدل.

حلم ٣٨٦

وجدتني ضابطا احتياطيا في الفرقة المكلفة بحماية الجسور والأماكن الهامة عند اندلاع الحرب، وهاجمتنا طائرات العدو وأخذت تزلزل الأرض بقنابلها، وأصابت قوة الدفاع إحدى طائرات العدو فأهلكت من في الطائرة إلا واحدا تمكّن من الهبوط بالبراشوت فاعتقلناه، وتبيّن لنا أنه الذي كان أستاذنا في اللغة الإنجليزية وآدابها، فأكرمناه، وراح يحدثنا عن الحروب في الآداب المختلفة وكيف اندلعت لحل مشكلات ولكنها زادتها تعقيدا، وختم كلامه بقوله: العدل هو الحل.

حلم ٣٨٧

وجدتني مع بعض الحرافيش في مسكن المرحوم الشاعر « ص » ومعه الفنانة المرحومة « س » فتصافحنا بحرارة وسألته: هل أنت تؤلف لها دراما شعرية؟ فقال: إن الذي يجمعني بها الآن الانتحار الذي ارتكبناه ضيقًا بالحياة. وأخذنا نتسامر حتى الهزيع الأخير من الليل، وغادرنا المسكن، أما الشاعر والفنانة فسارا في الشارع الطويل الخالي ونحن في الناحية المضادة والحزن يملأ جوانحنا.

حلم ٣٨٨

وجدتني ومعي بعض الحرافيش في مقهى الفيشاوي، وإذا بالمرحوم المعلم فهمي يقبل علينا ويدعونا للعشاء في بيته فقمنا معه إلى بيته في حي الحسين القديم فصعدنا إلى السطح وجلسنا في ركن على مرأى من الدجاج والأرانب، وجاءوا بصينية كبيرة مليئة بالمدمس واللحمة المفرومة فأكلنا بشهية ودخَّنَّا تحت النجوم الساهرة ومئذنة مسجد الحسين رضي الله عنه تطل علينا حتى هبط منها الصوت الرخيم يؤذن للفجر.

حلم ٣٨٩

وجدتني في محل بيع أقمشة البِدَل بميدان الأوبرا، وهو المحل الذي أتردد عليه في المناسبات منذ عهد التلمذة، وقال لي صاحبه إنه سيعمل جراحة في غاية الخطورة، فتمنيت له السلامة، ويبدو أنه لمس في صوتي الصدق فأجهش في البكاء، وغادرت المحل دامع العينين.

حلم ٣٩٠

رأيت صديقي «ع» وهو يجمع التبرعات لبناء مستشفى للفقراء وبيده بنت في السابعة آية في الجمال فتبرعت له وتبرع أصدقائي، وفجأة اختفى تاركا الصغيرة فأدركنا أنها عملية نصب وأراد كل واحد منا أن يستحوذ على الصغيرة، ومنعًا للنزاع أخذها كل واحد مرة فيرعاها حتى تبلغ سن الرشد وتختار بنفسها صاحب الحظ الجميل.

حلم ٣٩١

رأيتني جنديا في الجيش بقيادة الشيخ مصطفى عبد الرازق وقد طرح للمناقشة مشروع سلام في الشرق الأوسط يقوم على العدل الكامل.

حلم ٣٩٢

وجدتني فجأة في خريف العمر وما أزال من ذوي الدخل المحدود وحولي بيوت سعيدة. كان من الممكن وبشيء من التفكير السليم أكون رب بيت منها ولكني أسير وحيدا نادما على ما فاتني من فرص وآسفًا على المبادئ المتطرفة التي اعتنقتها.

حلم ٣٩٣

رأيتني في قارب أجدف وإذا سفينة كبيرة تشق النيل فابتعدت عنها ما استطعت، ولكنها دفعت إليَّ موجة عالية فاختل توازن القارب وأوشكت على الغرق، ولكن أقبلت نحوي فتاة أجنبية كانت تعبر النهر وصعدت إلى القارب، وسرعان ما استعاد توازنه، وسرت إلى أقرب موقع من الشاطئ فتركت القارب وأنا أشكرها من كل قلبي، ووجدتني في حقل صغير فعبرته إلى ميدان، وكان رجل يمر فسألته عن المكان فقال لي: أنت في رحاب السيدة رضي الله عنها.

حلم ٣٩٤

وجدتني صاحب دكان صغير لبيع البسبوسة في روض الفرج القديم أنتظر زبائن آخر الليل من سمّار الليالي وزبائن القوارب الشراعية، يجيئون وهم يترنحون وفي لهفة للحلو فيلتهمون البسبوسة نظير قروش وهدايا من السجائر المعمرة، وأنتظر حتى يذهبوا ويعود السكون فيجيء الغفير حارس الليل فندخن السجائر معا ويدعوني إلى الغناء فأغني:

«على بلدِ المحبوب ودّيني».

حلم ٣٩٥

وجدتني في حفل لتكريم رموز الثقافة والعلم، ووقف الرئيس وتحدث عن «أولاد حارتنا» فنفى عنها أي شبهة إلحاد ونوّه عما فيها من تسامح واستنارة.

حلم ٣٩٦

سمعت صوتًا آتيًا من الغيب يقول إنهم في العالم الآخر بدءوا يشمون رائحة كريهة صادرة من عالمنا؛ فنظر مستطلعًا فوجد السبب في الفساد المستفحل، فسألته: وماذا ستفعل؟ فقال: نحن نبدأ بالوعظ والإرشاد وإذا لم يُجْدِ ذلك عمدنا كارهين إلى وسائل أخرى.

حلم ٣٩٧

رأيتني واقفا أمام البيت القديم متفائلا ومستمتعا فلمحني الساكن الجديد وهو المغني الشيخ « أ »، وجلسنا في حجرة الجلوس ورحب بي فهو صديق لوالدي، كما أن حرمه صديقة لأمي، ثم قال لي إنه مدعو الليلة للغناء في فرح ولا بد من بعض التمرينات، وتناول العود ولعب بالأوتار وغنى بصوت عذب: «ياما انت واحشني».

فأكملت وأنا في نشوة الوجد: «وروحي فيك».

حلم ٣٩٨

وجدتني صبيا واقفا أمام حارة بيت القاضي أنتظر حتى خرج منها رجل أبيض البشرة متمنطق بفوطة حمراء ويحمل وعاء مستطيلا مغطى بغطاء أحمر وينادي «دندورمة»، فهرعت إليه وأعطيته مليما وقدمت له طبقًا فوضع فيها قطعة من «الدندورمة» ومضى، والتهمت «الدندورمة» بشهية ثم انتظرت مجيء بياع الكسكسي.

حلم ٣٩٩

رأيتني واقفا أمام حديقة ڤيلَّا صغيرة أستمع إلى الصوت الجميل الذي يغني: «رق الحبيب». وإذا بحبيبتي تبدو عند مدخل الڤيلَّا وهي تقول لي: لا تؤاخذني على جرأتي فما دفعني إليها إلا علمي بأنك ما تزال تحبني على الرغم من مرور الأعوام.

حلم ٤٠٠

رأيتني تلميذا بمدرسة خان جعفر الأولية والمدرس يشرح الدرس وأنا مستغرق في تأمل صور الكتاب، ويقبل عليَّ وينهال عليَّ بالمسطرة ويقول: اسمع نصيحتي وتعلم حرفة؛ فأنت لا مستقبل لك في التعلم.

حلم ٤٠١

رأيتني في فرح إحدى قريباتي وخصوا الصبية بمائدة عشاء فجلسنا حول المائدة، وكلما جاءونا بطبق انقضوا عليه، وهكذا حتى فرغ العشاء دون أن أذوق منه شيئا، وذهبت إلى أمي وحكيت لها ما حصل فقامت وجاءتني بطبق فيه سندوتش من الجبن وبعض الحلوى.

حلم ٤٠٥

رأيتني راغبا في التغيير وكلفت أختي الكبيرة بأن تختار لي عروسا من الجيران، وفي الوقت نفسه ذهبت إلى قبر أمي لعلها تبارك زواجي، وباركته بصوت فاتر وتحت شرط ألا أخضع لمطالب أهلي الجدد عند الاختلاف، وقد اختلفت حول المهر والمسكن، وفي أثناء ذلك تقدم لهم شاب بلا عقبات فقبلوه وتذكرت النشيد:

«يا قليل المال.. رفقتك محال.. في زمن الأندال».

حلم ٤٠٦

رأيتني في البيت القديم وهو على حال يرثى لها، فرسمت خطة لبعثه في الحياة من جديد، وشاورت بعض الأصدقاء فأشاروا عليَّ ببيعه وشراء شقة عصرية، ولكني صممت على خطتي وهي تقوم على ترميم الجدران وتجديد المرافق والمصابيح على أحدث الأساليب العصرية، وانتظرت لتسلم تحفة معمارية وأنا أغني:

«يا بيت العز يا بيتنا».

حلم ٤٠٧

رأيتني في حديقة الجيران كهلا يتذكر المرات التي أتيحت له ليتزوج ولكنها خابت، وها هو يقف وحيدا أمام الزمن ويتذكر أغنيته المفضلة:

«أراك عصيَّ الدمع شيمتك الصبر».

حلم ٤٠٨

رأيتني العائش الوحيد مع أمي بعد زواج إخوتي وأخواتي، وشاهدت بيعها لبيتها القديم وتجمّع بضع جنيهات بين يديها، وراحت تقدم الهدايا لإخوتي وأخواتي، وبخلاف المتوقع لم تقدم إليَّ هدية بمليم، فعجبت لسلوكها وازددت كربا على كرب.

حلم ٤٠٩

رأيتني وحدي أخيرا، وإخوتي يختارون ما يعجبهم من الأثاث القديم، ولمّا أعترض يقولون لا مفر من زواجك غدا أو بعد غد، وسيجيئك الجهاز بكل ما يرضيك.

حلم ٤١٠

وجدتني مع إخوتي نتفق على القيام بنزهة فسبقوني إلى الطريق، وصعدت إلى حجرتي لأتمّ زينتي فرمقت تحت الفراش لصا عملاقا لا قِبل لأحد به فناديت إخوتي فلم أسمع إلا الصمت الثقيل، فقلت: أتفق مع العملاق فأتركه يذهب بهدوء ولا يمسّني بسوء، ولكنه استمع بغير مبالاة فعلمت أنه لا فائدة.

حلم ٤١١

رأيتني مع بعض أقرباء معبودتي ثم انضمت إليها المعبودة وحدثتنا عن سهرة أمس مع الأسرة لمشاهدة «الغندورة» تمثيل وغناء منيرة المهدية، فقلت لها: إذا كنتِ تحبين صوت منيرة فلا بد من سماع «أسمر ملك روحي»، وهكذا غازلتها وأنا لا أدري.

حلم ٤١٢

رأيتني تحت الشجرة أتأمل نوافذ الڤيلَّا المغلقة بعد سفر الأسرة إلى رأس البر، وسألت نفسي كيف ستكون حياتي في غيابها شهرا كاملا؟ وماتت الحياة في نظري وتكومت جثتها على صدري حتى صرت عصفورة تقفز من غصن إلى غصن حتى عودة المحبوبة من مصيفها.

حلم ٤١٣

رأيتني في أعقاب صلاة المغرب أناشد العزيز الرحيم أن يعفيني من هذا الحب، فسمعت صوتا يقول لي: وهل تحتمل الحياة بغير هذا الحب؟

حلم ٤١٧

وجدتني في احتفال عظيم ويتقدم مصطفى النحاس رئيس الوزراء من الملك ويتهمه بالفساد في سياسته وأخلاقه، ويسمع ذلك جميع السكان ويصيح رئيس الديوان متهما الزعيم بالخيانة العظمى، وتقع اضطرابات ثم ينطوي نظام ويهلّ نظام جديد.

حلم ٤١٨

رأيتني أُنقل من القاهرة إلى بلدة ريفية فأضيق بها حتى يدلني زميل على فندق حديث يملكه ويديره رجل يوناني، واستأجرت حجرة كاملة الأوصاف تتصل بها استراحة بها تلفزيون ومكتبة، ولكن مرتبي لم يكفِ لتغطية حياتي، حتى إني لم أذق اللحوم إلا يوما واحدا في الأسبوع، ولكني فضلت التقشف مع الحياة الجميلة في الفندق.

حلم ٤١٩

رأيتني أدخل بيت صديقي « ع » ويلاحظ أنني متغير فأجهش في البكاء، وأقول له إن صديقتي « ف » ماتت فجأة ولَكَم تمنت أن تتزوج مني ثم تتوب، فكيف هان عليَّ أن أحرمها من الحب والحياة الشريفة في ظل التوبة؟

حلم ٤٢٠

وجدتني في الإسكندرية لقضاء بضعة أيام من الخريف بجوها الجميل، وزرت الصديقة القديمة، وهناك رأيت كريمتها الزميلة تجالس رجلا أثار منظره نفوري، وإذا بي أجدني في قفص الاتهام تنهال عليَّ الأسئلة عن الأسباب التي دفعتني إلى القتل ولا أجد من جواب إلا أنني ما جئت إلى الإسكندرية إلا لقضاء بضعة أيام من الخريف في جوها الجميل.

حلم ٤٢١

رأيتني مشتركا في سباق الدراجات في مصر العليا وأحرز تفوقا فيدعوني الزعيم إلى مقابلته ويهديني مكافأة لي الرغيف الصعيدي وهو يقول: إن من يتناول لقمة من هذا الرغيف يظل على إخلاصه لي مدى الحياة.

حلم ٤٢٢

رأيتني أتعلم السباحة على يد خبير وأسبح بعد ذلك في مياه الشاطئ مع صديقي « م » التاجر الساخر ونغطس معًا حتى نجد البيت ذا الجدران الوردية وأعلن عن رغبتي في الدخول فيقول لي صديقي: لا صعوبة في الدخول ولكن الخروج منه مستحيل، فأقول له: إن أمنية القلب في الداخل فلا يهمني الخروج، فيقول لي: وإذا لم تجد في الداخل أمنية القلب واستحال الخروج؟ ولكني دخلت مطمئن القلب.

حلم ٤٢٣

رأيتني أسبح في مياه الشاطئ وعلى شيء من البعد رأيت أمي وأخواتي ومعبودتي « ع » وحبيبتي « ب » يسبحن فسبحت نحوهن ولكن ظلت المسافة بيني وبينهن كما هي أو ازدادت اتساعا، حتى سمعت صوت أمي يحذرني من الغرق، فتوقفت عن السباحة ورأيت الأحباب يختفين في الأفق.

حلم ٤٢٤

رأيتني جالسا في شرفة الفندق المطلة على البحر أتذكر أحداث يوم بدأ من وجودي في مجلس الحكيم وأصحابه من رجالات العهد البائد ثم من وجودي في حديقة «سان استيفانو» مع آباء الإسكندرية وفي مقدمتهم المرحوم يوسف عز الدين عيسى والمرحوم نعيم تكلا والأساتذة محمد الجمل وسعيد سالم وعبد الله الوكيل، ثم وجدتني في المقهى التي يديرها قريب الزعيم ويؤمها الوفديون بعد أن جار عليهم الزمن، وانتظرنا حتى رأينا سيارة الزعيم مصطفى النحاس وهو يختفي داخلها بعد أن حرم عليه الاتصال بالشعب، وها أنا جالس في الشرفة المطلة على البحر وقد مرت بي أحداث تبعث على السرور والضحك، وأخرى تدعو إلى الحزن والدموع.

حلم ٤٢٥

رأيتني مع الحرافيش في دار الأوبرا نشاهد الباليه المصري الحديث المستوحى من التراث الشعبي والفن الأوربي وقد نجحت التجربة، ولكن لفت نظري راقصة تحمل سمات من معبودتي «ع» فاهتممت بها حتى ظن أصحابي أن ثمة بداية عشق جديد.

حلم ٤٢٦

رأيتني من المقربين من حاكم الجنوب في مصر، وكان حديثه يدور حول الجماعات المتناحرة على شاطئ النيل، ويوما قال لي إن النيل جاءه في المنام وقال له إنه يعهد إليه بتوحيد الجماعات المتناحرة في جماعة واحدة متعاونة، وأن يكون مَلِكًا عليها يقوم بتوزيع المياه بينها بالعدل.

حلم ٤٢٧

أراني استيقظت فزعا على رنين الجرس وهرعت إلى باب الشقة، فوجدت أن الصمت يسوده من جميع النواحي فرجعت إلى المجلس الذي عنده سرقني النوم من السعادة المنتظرة.

حلم ٤٢٨

رأيتني أجد المرحومة « ب » تحت شجرة جميز فقلت لها إني كثيرا ما أراها في أحلام اليقظة والنوم فماذا فرّق بيننا؟ فقالت لي: تذكر ما حدث في شارع الكورنيش فقد تبعتني خطوة بخطوة حتى تمنيت أن توجه لي كلمة فأستجيب لك فورا، ولما طال انتظاري قررت أن أتغلب على خجلي وأنظر خلفي نحوك، ولكنك أرخيت جفنيك فتولاني اليأس من ناحيتك، فقلت: يا للخسارة؛ فإن السعادة سعت إليَّ حتى كانت مِنِّي على بُعد قيراط فماذا أعماني عنها؟!

حلم ٤٢٩

رأيتني في حقل بلا ضفاف وكل موضع فيه يموج بالإناث والذكور في أجمل زينة وأتمّ سرور، فرحت أبحث عن المُنى والطلب ولكني لم أعثر عليهما فغنيت:

وذو الشوق وإن تعزى

مشوق حين يلقى العاشقينا

حلم ٤٣٠

رأيتني أصافح الصديق «ع» بعد خصومة سياسية، واحتفالا بالصلح دعاني إلى قصره، وهناك جلسنا في الحديقة وراح يسمعني آخر إنتاجه الشعري، ثم جاءنا السفرجي بالعشاء المكون من الفول المدمس والطعمية وقال لي: أنا أعلم أن هذا هو عشاؤك المفضل، فقلت له: إذا اشتقت إلى هذه الوجبة فابحث عنها في الأحياء الشعبية وخاصة حي الحسين رضي الله عنه.

حلم ٤٣١

رأيتني جالسا على شاطئ البحيرة الساحرة التي يعكس سطحها الماسي القبة السماوية بكل جمالها وجلالها، وإذا بوجه معبودتي «ع» يتجلى ويختفي في مثل سرعة البرق، فانتظرت أن يتجلى ثانية دون جدوى فرحت أناجيها:

وهواكِ عندي كالغناء لأنه

حسن لديَّ ثقيله وخفيفه

حلم ٤٣٢

وجدتني في سكرتارية حاكم المدينة زميل صباي أطلب مقابلته منتظرا استقبالا حارا مفعما بالذكريات، ولكنه استقبلني بفتور هوى عليَّ كالصفعة فقلت: لعلي ذكّرته بأيام فقره وصعلكته وفساده. وقال لي: إذا كان عندك شكوى فاكتبها واتركها مع السكرتير. فغادرت حجرته وقد انعقد عزمي على ألا أراه ثانية وأن أحتكم إلى القضاء، وفي أثناء ذلك وقعت محاولة اغتياله وهو يغادر أحد قصوره.

حلم ٤٣٣

رأيتني في اليوم الذي تزوج فيه مصطفى النحاس والشعب أراد مشاركته في فرحته فعلقت الزينات على أبواب الحوانيت والمقاهي، وغنى من غنى ورقص من رقص، وعند منتصف الليل دعا الزعيم وعروسه كبار المهنئين ليشكرهم فانبرى من بينهم الموسيقار محمد عبد الوهاب وغنى بصوته الرخيم:

«جفنه علم الغزل».

حلم ٤٣٤

وجدتني وحيدا والشباب يفارقني وقد فعلت ذلك بإرادتي، ووجدتني بين خيارين؛ ففي الأول الحرية المطلقة التي أتمتع بها وإن شابها أحيانا شيء من القلق، وفي الثاني توجد قريبتي « ف » وهي تعد من يتزوج منها بالاستقرار والطمأنينة، ولما طال ترددي بين الخيارين كانت العصفورة قد فرت من القفص، وعند ذاك شعرت بالخسارة البالغة وبأنني سأدفع ثمن ترددي حتى نهاية العمر.

حلم ٤٣٥

رأيتني أسبح في البحر متجها نحو الصخرة التي تجلّت مثل تل في ضوء القمر وإذا ببركان يثور في وسط الصخرة ويتطاير من فوهته نساء جميلات ينتشرن في أنحاء الصخرة كاللآلئ وجلسنا نغني كلّنا:

«البحر بيضحك ليه».

حلم ٤٣٦

رأيتني سائق ترام في العباسية، وأمام إحدى العمارات لمحت في النافذة محبوبتي فأوقفت الترام وانطلقت إلى مسكنها وراحت هي تلبس ثوب الزفاف وغادرنا المسكن وهي متأبطة ذراعي، فرأيت وراء ترامي طابورا من الترامات، كما وجدت في انتظاري مفتش المصلحة وضابط المباحث والطبيب النفسي، فساقوني إلى التحقيق فذهبت معهم وعروسي متأبطة ذراعي.

حلم ٤٣٧

وجدتني أموت جوعا ووجدت محل كبابجي فجلست وطلبت طبق كباب ولكن النادل وقف وقال لي أن أدفع مقدمًا، فغضبت ولكنه أصر، ومن شدة الجوع دسست يدي في جيبي الداخلي لأتناول المحفظة فلم أجدها وبحثت في كل الجيوب وصحت: إنها سُرقت، فتركني الرجل، وغادرت المحل وفي الخارج وجدت الشرطة تقبض على صاحب المحل، ولما سألت علمت أنه متهم بذبح القطط والكلاب الضالة، فكدت أنسى جوعي وأسرعت نحو بيتي.

حلم ٤٣٨

رأيتني مع بعض الأصدقاء نتحلق مائدة في بار صغير أنيق والنادل يملأ لنا الكئوس، وسرعان ما شعرت بالطرب يتمطى في قلبي والخفة تنتشر في صدري فأوشك أن أطير، وقلت: صدق من سمّاها بالمشروبات الروحية، وإذا بالمعبودة «ع» تتجلى وسط منصة الأوركسترا وهي تقول: سمها باسمها الحقيقي وهو مشروب العاشقين.

حلم ٤٣٩

رأيتني وأنا أحلم برحلة بالعالم الآخر في حديقة فيها أشجار وبساتين وأزهار وجداول لم أرَ مثل جمالها أبدًا، ورأيت فيمن رأيت المعبودة « ع » والمحبوبة « ب » وسعد زغلول ومصطفى النحاس ومكرم عبيد، وكانوا ممن يسبحون في الجداول أو يطيرون بين الأغصان، وإذا بي أرجع إلى مدينتي العشوائية، ولكني سرعان ما اتفقت مع مكتب هندسي فأدخلنا الصرف الصحي والكهرباء والماء وجعلنا لنا سورا من الياسمين والفل وموقفا للمساكن وآخر للمدارس ومستشفى كبيرًا ومسرحًا عظيما ودارًا للعرض السينمائي وآخر للفنون التشكيلية، وأنشأنا بينها جداول مائية وبساتين وحدائق، وانبهر الناس بما نصنع، ولعلي الوحيد الذي شعر بالفارق العظيم بين الواقع وما حلمت به.

حلم ٤٤٠

رأيتني في ميدان بيت القاضي يوم الاحتفال بالمحمل، وجاء المحمل يتهادى فوق الجمل ويسحب وراءه حاملات الكسوة الشريفة، ويموج الميدان بالناس من جميع الأشكال والألوان ويهتفون بجميع اللغات بالحرية والعدل وحقوق الإنسان ويُظلّهم السلام والحب.

حلم ٤٤١

رأيتني أصافح صديقي « م » بعد غياب أكثر من عامين، فقال لي إنه اشترك في جنازة النحاس باشا وهتف: إلى الفردوس يا نحاس، وفي المساء اعتقلت ورموا بي مع آخرين في السجن دون تحقيق ولا محاكمة، وهكذا ذهب النحاس إلى الفردوس وأنا إلى السجن.

حلم ٤٤٢

رأيتني أصافح زميلي القديم «ع» الذي فصلَته من العمل لجنة التطهير عقب قيام الثورة فقال لي إنه تابع بعض أعضاء اللجنة وكانوا أفقر منه وهم الآن يركبون السيارات ويقطنون القصور.

حلم ٤٤٣

رأيتني وأنا مدير شركة إنتاج سينمائي وتجيء لمقابلتي والدة بطلة الفيلم الذي أعده «ز»، وردت إليَّ العربون في ظرف وهي تقول إن ابنتها تحجبت وتابت عن ماضيها، ففزعت على المال الذي صرفته لإعداد الفيلم وعلى الخطة التي أعددتها للاستيلاء على الراقصة، فطلبت من أمها أن أقابلها فقالت إنها لا تقابل الآن إلا الدعاة، وهذا محامي الشركة «أ» طلبت منه إقامة دعوى فيقول: لِمَ؟ إن الناس ستقول إن هذه امرأة تطلب التوبة وهذا رجل يريد أن يرغمها على العودة إلى حياة اللهو فتصبح أنت هدفا للإرهابيين.

حلم ٤٤٤

وجدتني مع صديقي الحميم «ع» وهو يدعوني إلى الانضمام إلى جماعة سرية تعمل لحساب الملك فرفضت لا حبًّا في الثورة ولكن اقتناعا ببعض إيجابياتها وفي مقدمتها القضاء على النظام الملكي.

حلم ٤٤٥

وجدتني أستقبل في مكتبي السيدة «ن» جارتنا القديمة في العباسية وهي تأمل في أن أجد عملا لابنها الوحيد الذي بلغ العشرين وما زال أميا، حتى اسمه لا يعرف كيف يكتبه فوقعت في حيرة وسألتها: هل تقبلين أن أبحث له عن عمل في خدمة أحد السادة الجدد؟ فانتفضت غاضبة وصاحت في وجهي: نحن السادة وأنتم الخدم.

حلم ٤٤٦

وجدتني طفلا ألعب فوق سطح بيتنا القديم في الليالي القمرية فعشقت القمر والنجوم والليل، ونما هذا العشق مع نمو عمري حتى تردد في أغاني صباي وشبابي مثل: «يا ليل يا عين» و«قمر له ليالي» و«عندما يأتي المسا ونجوم الليل تنثر».

حلم ٤٤٧

رأيتني تحت شجرة الليمون أحادث نفرا من أصدقائي الجدد وإذا بفتاة تقبل نحونا وتتابع الحديث، فغمر وجدي شعور لم أعهده من قبل على كثرة ما رأيت من جميلات الجمالية والعباسية، هكذا استقر حب « ع » في أعماق روحي إلى الأبد.

حلم ٤٤٨

رأيتني أسير حائرا في شوارع وسط المدينة وثمة طوابير من الجنود تنتقل من شارع إلى آخر، ثم أخذت الطوابير تختفي ويحل محلها أشجار ليمون فتتطاير ثمارها حتى تنعقد مظلة تقطر عطرا فيعبق المكان بشذا طيب.

حلم ٤٤٩

رأيتني في حديقة غناء مكتظة بالنساء والرجال والمآكل والمشارب وإذا بصوت يهمس في أذني: إن لم تستحِ فاصنع ما شئت.

حلم ٤٥٠

رأيتني في مكان خالٍ وإذا برجل يسير متوكئًا على عكاز وهو على حال صحيّة تدعو للرثاء فأعرف فيه الزعيم أحمد عرابي، وأسأله عما حل به فيقول إنه فِعل المنفى الطويل وسوء الاستقبال الذي لقيته عند العودة للوطن، فأقول له متأثرا: إن الله لا يضيع أجر من أحسن عملا.

حلم ٤٥١

رأيتني أسير على شاطئ النيل في حديقة مزهرة وأرى غير بعيد معبودة روحي « ع » واقفة فهرعت إليها وأقول لها: هذه فرصة لألمسك فصافحيني، وقد كان ذلك أمنية حياتي، فتقول لي: إني في طريقي إلى العالم الآخر، فهتفت بذهول: إنكِ ما زلتِ في عز الشباب، واقتربت منها مادًّا يدي فاختفت تاركة إياي للحسرة والأحزان.

حلم ٤٥٢

وجدتني في مقهى الفيشاوي بصحبة الشيخ زكريا أحمد وصاحب المقهى المعلم فهمي يرحب بنا، وعزف الشيخ زكريا بأوتار العود وغنى: «آه يا سلام زاد وجدي آه»، فأكمل المعلم فهمي: «والصبر طال من غير أمل»، وأكملت أنا: «إمتى الجميل يصنع جميل وأفرح وأقول حبي عَدل»، وفي أثناء ذلك لم يتوقف المعلم فهمي عن خدمة الجلسة حتى غبنا في دخان التمباك العجمي.

حلم ٤٥٣

رأيتني في الإسكندرية بعد غيبة طويلة فجاءت السيدة «خ» لترحب بي ومعها زميلاتها فهنأنني بالسلامة وراحوا يرقصن ويغنين:

خفيف الروح بيتعاجب

برمش العين والحاجب

حلم ٤٥٤

رأيتني وسط مظاهرة ضخمة في ميدان عابدين ننتظر ظهور الوزارة الشعبية الجديدة، وإذا بالوزارة تغادر السراي يتقدمها رئيسها الجليل وكلهم يرتدون الجلابيب واللاسات البلدية ورئيسهم يقول: أنتم طالما سمعتم الوعود المعسولة دون أن يتحقق شيء، انظروا الآن إلى ملابسنا فهي تشي بما سنعمل دون حاجة إلى كلام.

حلم ٤٥٥

رأيتني راجعا إلى بيتنا في العباسية، وها هي أمي تخبرني أن الفنانة « ف » سألت عني بالتلفون فاتصلت بها، وبعد تبادل التحيات قالت لي إنها تطلب مني كتابة قصة لفرقتها عن الحبيب الذي فارق أحبابه فما انتفعوا بالعيش من بعده ولا هو انتفع.

حلم ٤٥٦

رأيتني في حجرة مدير المستخدمين وهو يهنئني بالترقية إلى وظيفة في تفتيش الوزارة بالشرقية، فاختلطت الفرحة بالانزعاج وقلت له: إن الوباء استفحل هناك. وقال لي: إن الترقية بالأقدمية ولا مفر منها والأعمار بيد الله. وفكرت طويلا ثم سلمت أمري لله. وفي يوم الرحيل جاء نفر من زملائي لتوديعي وانطلق القطار يردد اللحن الجنائزي.

حلم ٤٥٧

وجدتني مع الآنسة «ج» وقد نفد صبرها وقالت إنه تقدم بها السن وطال انتظارها، فرجوتها أن تمد الصبر قليلا ولكنها رفضت وانفصلنا متخاصمين، وهكذا انفسخت العلاقة.

حلم ٤٥٨

وجدتني مع زملائي في المكتب في لقاء مع الوزير الجديد وقال لنا إن مدير المستخدمين في انتظارنا ليوزعنا على وظائف جديدة وبذلك يتمكن الوزير من تكوين مكتبه، وفي صباح اليوم التالي أذيع بيان الجيش معلنا عهدا جديدا، وإذا بالملك نفسه يبحث عن مقر جديد بعيدا عن مملكته.

حلم ٤٥٩

رأيتني مع مجموعة من الأصدقاء نتسابق فوق متون جيادنا حتى بلغنا الميدان فتفرقنا وزدنا من سرعتنا، وإذا بجوادي يرتفع عن الأرض رويدًا رويدًا حتى استوى تمثالا من البرونز على ارتفاع شاهق.

حلم ٤٦٠

رأيتني أسير في حقل بلا حدود وبي حذر شديد لثأر قديم وتصادفني غابة من أشجار البرتقال فاندسست فيها، ومن شدة الحذر تحولت إلى شجرة مثقلة بالبرتقال ذات منظر شهي وعبير زكي.

حلم ٤٦١

رأيتني في بهو استقبال يجمع بين أهلي وأهل خطيبتي وهذا المأذون يعد دفتره ليعقد قراني، وإذا بخطيبتي تندّ عنها صرخة وتقع على الأرض متخشبة الجسد مرتعشة الأطراف غائرة العينين، والرغوة تسيل من فمها، فهرع إليها أهلها وحملوها وذهبوا بها مخلِّفين وراءهم حسرة خانقة لا شفاء منها.

حلم ٤٦٢

رأيتني أستجمع شجاعتي لأصارح أهلي بأنني قررت الزواج من «ج» التي هي خادمة في بيتنا مع أمها فذهلوا جميعا، فالبنت أمّية سيئة السلوك وأقرب إلى القبح في شكلها، والأعجب أنها لم ترحب بيدي الممدودة، ونشبت مشاجرات بينها وبين أمها انتهت بهروبها فأصابتني طعنة دامية في كرامتي وكراهية لفكرة الزواج دامت معي إلى الأبد.

حلم ٤٦٣

وجدتني في مظاهرة ضخمة، نسير ثلاثة: صديقي «ك» وإلى يمينه شقيقته التي أحبها وأنا إلى يساره، ومازلنا نسير ونهتف ويتقدم بنا العمر.

حلم ٤٦٤

رأيتني أستيقظ على صوت المسحراتي ودقات طبلته، ولما ناداني سرت وراءه متنقلا من موضع إلى موضع ولم يعثر عليَّ أحد.

حلم ٤٦٥

رأيتني في حقل تحيط به أشجار الحور والجازورينا، والشمس تتوسط السماء، وهذه «ع» ترتفع عن الأرض رويدا رويدا حتى تغطي قرص الشمس ويخيم الظلام. وتتلألأ النجوم وتغني البلابل:

طلع البدر علينا

حلم ٤٦٦

رأيتني في الميناء حيث ترسو سفينة النزهة في انتظار الركاب ولكن تشترط أن يكونوا متزوجين وأن يصحب كلٌّ زوجته، وعلم صديق بحالي وأخذني إلى مسكنه وزوّجني من شقيقته العانس ورجعنا إلى المينا فوجدنا المكان خاليا ورأينا السفينة تبحر في الأفق والزوجة التي تزوجتها عن غير رغبة تتأبط ذراعي، أما أنا فأتخبط في مقام الحيرة.

حلم ٤٦٧

وجدتني شحاذا في الحي الإفرنجي ورحت أتسول في المقهى مترنمًا ببعض المدائح النبوية والخواجات ترمقني بازدراء واشمئزاز، ثم طلبوا من النادل إبعادي فمضى الرجل معي مبديا عطفه الشديد ونفحني بشيء من رزقه.

حلم ٤٦٨

رأيتني أربح الورقة الأولى من اليانصيب بعد صبر طويل، وأجد في يدي تكاليف الزواج فأذهب إلى خالي وأطلب يد ابنته ولكنه اعتذر لي ووافق على زواجها من أخي وقال لي: إنكما متساويان في كل شيء إلا أن أخاك كان يدخر حتى وفر كل تكاليف الزواج، فعرفت أنه بخلافك؛ يشعر بالمسئولية، وأردت أن أسأله عن رأي ابنته فقال لي إنه صاحب الرأي وأدرى بمصلحتها.

حلم ٤٦٩

رأيتني أُضبط في بيت قمار ودعارة وأدركت أنه لا مفر من السجن وأنها ستكون كارثة لإخوتي الذين فازوا في كل شيء في الحياة، فكنت أنا الأخ الفاسد في كل شيء.

حلم ٤٧٠

رأيتني واقفا مع فتواتنا ننتظر حتى جاءت الزفة والعروسان والأنوار والمغنى يغني «يا ليل يا عين»، «عجايب والله عجايب»، فهجمنا على العريس وتصدى لنا فتوة حارته ودارت معركة حامية وفقدت الوعي، ولما استيقظت وجدت نفسي في القصر العيني بين الحياة والموت من ناحية وتهمة القتل والإخلال بالأمن من ناحية.

حلم ٤٧١

رأيتني في حجرة النوم وتزورني السيدة « ص » ونتحدث عن ذكرياتنا القديمة ونتبادل الحب ثم تودعني وتنصرف، ويجيئني من الخارج صوت شقيقتي « ر » وتنشب بين المرأتين معركة كلامية.

حلم ٤٧٢

رأيتني صبيا مع أمي وهي في فناء البيت تعد الطيارة الورقية للطيران وأجلس على قاعدتها المزخرفة وتمضي هي في حركتها وهي ترتفع رويدًا رويدًا حتى تبلغ الأفق؛ فيتاح لي أن أرى الحي من فوق مثل الأسطح وما فيها من دجاج وأرانب ورءوس الأشجار بثمار «دقن الباشا» وأعالي المآذن، وتتلو أمي الآية الكريمة: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ فأرد وراءها: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾.

حلم ٤٧٣

رأيتني في حجرة مكتبي وفجأة أنام وأحلم أني في بيت « ب » وأنهم يعقدون قراننا، وبعد ذلك نذهب كل صباح لإعداد المسكن والأثاث ونعود لأجلس معها في حجرتها ونمارس الحب فتغمرني سعادة هائلة وأغني، ولكني صحوت من النوم والحلم وتذكرت أن « ب » تمضي شهر العسل مع زوجها وغنيت:

«قدك أمير الأغصان من غير مكابر».

حلم ٤٧٤

رأيتني أستقبل في بيتي الأستاذ « غ » الناقد الكبير، وهو على الرغم من ماركسيته إلا أن نقده اتسم بالموضوعية؛ ولذلك كان الناقد الماركسي الوحيد الذي أنصف أدباء غير ماركسيين، وقلت له إن بعض الأصدقاء حدثني عن صوته العذب وعِلمه بالغناء قديمه وحديثه، ورجوته أن يسمعني صوته، وراح يغني «آه يا سلام آه، زاد وجدي آه، والصبر طال من غير أمل، إمتى الجميل يصنع جميل وافرح وأقول حبي عَدل».

فطربت طربـا عظيما وأمضينا الليل متنقلين بين الأدب والغناء.

حلم ٤٧٥

رأيتني مشتركا في الاحتفال بمولد الحسين رضي الله عنه وقد اكتظت الميادين والشوارع والحارات والأزقة بملايين البشر، وعند منعطف لمحت وجه محبوبتي «ع» فخضت أمواج البشر نحوها ولكنها ضاعت مني في الزحام ومازلت أبحث عنها حتى أعياني البحث، وهنا هبط عليَّ صوت الشيخ علي محمود وهو يؤذن لصلاة الفجر فقرأت الفاتحة.

حلم ٤٧٦

رأيتني مشاركا في سباق الدراجات الذي يبدأ من العباسية وينتهي عند بيت الأمة، وفزت بجائزة وهي عبارة عن قلم أبانوس وبطاقة بخط الرئيس الجليل يقول فيها: «يعجبني الصدق في القول، والإخلاص في العمل، وأن تقوم المحبة بين الناس مكان القانون».

ومازلت أحتفظ بهذه الجائزة واعيا لمضمون كلماتها.

حلم ٤٧٧

رأيتني في السادسة من عمري ألعب أمام البيت القديم وإذا ببياع الحلوى ينادي فهرعت وأعطيته مليمين، فأخذ جزءًا من الحلوى المعقودة حول رأس عصاه الطويلة وجذبها برشاقة حتى صارت خيطا وجعله كهيئة الحمار الصغير وجنبه جناحان وأعطاه لي فامتطيته وحركت الجناحين فطار بي في الفضاء، وتصورت أبي وهو يبحث عني دون جدوى، لكن هذا جزاء إرسالي كل صباح إلى الكُتَّاب وتحريضه شيخ الكُتَّاب على تأديبي، والآن أنا حر أتجول بين الكواكب والنجوم.

حلم ٤٧٨

رأيتني راجعا من سهرة إلى بيتنا في العباسية، وفي الطريق لاح لي صديقي المرحوم « ن » فاتجهت نحوه بشوق، ولكني توقفت لأني رأيت وجهه متجهما فأردت تذكيره بي، فحدثته عن ما قمنا به من ترهات أنا وهو وحرمه وشقيقة حرمه الشابة وقلت له: تلك الأيام كانت من أسعد أيام حياتي، فقال لي بخشونة: لكنها كانت أتعس أيام حياتي، وأخرج من جيبه مسدسه فتولاني الذعر وركضت نحو بيتي تطاردني الطلقات النارية.

حلم ٤٧٩

رأيتني في الخمسين من عمري وأنا وحيد وتعرفت بالسيدة «س» وهي مطلقة فتحرك حنيني للزواج، وبعض الأصدقاء قالوا لي: هذه فرصتك الأخيرة انتهزها، وقال آخرون: احذر من فكرة الزواج الآن فهي كارثة، وترددت بين الرأيين وازدادت حيرتي، ولكن حنيني للزواج لم يهدأ فقررت أن أطلب يدها، ومضيت نحو كازينو السكاكيني الذي نلتقي فيه عادة وقررت الخروج من حيرتي بطلب يدها، ولما لاح لي الكازينو انهزمت فجأة واجتاحتني رغبة في الهروب لا تقاوم، واستدرت فرجعت مصمما على البقاء في وحدتي حتى نهاية العمر.

حلم ٤٨٠

رأيتني موظفا كبيرًا ولكني أتردد كثيرا على بيت يدار للقمار، وإذا بالشرطة تقتحمه وبعد قضاء مدة السجن خرجت لأفتح مقهى صغيرة عُرفت بالنظافة وجودة مشروباتها، وقد كتبت على لافتة في أعلى مدخلها «لا تشغل البال بماضي الزمان».

حلم ٤٨١

رأيتني بالإسكندرية أنا والأسرة، وذات يوم رأيت صديقتي القديمة «خ» تسير بصحبة شاب، وراحا يستحمان في شاطئ البحر وأنا أقول لنفسي: «خفيف الروح بيتعاجب برمش العين والحاجب».

حلم ٤٨٢

رأيتني عبوسا وحيدا يتجول في حديقة المنتزه وقد استحممت في البحر ثم جلست في كازينو «فنسيا» ورحت أترنم بهذه الأغنية:

من قد إيه كنا هنا

من شهر فات ولّا سنه

أيام ما كنّا لبعضنا

والدهر غافل عننا

حلم ٤٨٣

رأيتني عضوا في لجنة الطلبة المكلفين بجمع التبرعات لأسرة زميلنا الشهيد في آخر مظاهرات، وانتقلنا من مكان إلى مكان حتى وجدنا أنفسنا أمام ڤيلا أمير الشعراء، فدخلنا الحديقة وهتفنا باسمه ولكنه لم يظهر، وكنت قرأت قصيدة «ولد الهدى»، فأخذت أردد المقطع الذي يبدأ «الاشتراكيون أنت إمامهم»، فظهر وتبرع بما قُسم وخرجنا فائزين.

حلم ٤٨٤

رأيتني المراقب للمصنفات الفنية، وكنت ميالا للحرية وللفن، حتى عرض علينا فيلم عن حياة السيد المسيح وجدت فيه إساءة للمسيحيين وللمسلمين معا فمنعت عرضه، ونشبت معركة بدنية بيني وبين اليساريين فألف الوزير لجنة من كبار المفكرين فشاهدت الفيلم ووافقت على رأي الرقابة.

حلم ٤٨٥

رأيتني جالسا في الترام الذي يسير بين مدينة الملاهي والعباسية وقد انتصف الليل، وعندما وقف الترام في محطة الزمالك صعد إليه الموسيقار « م . ع » فرحبت به وقدمت له بطاقتي كمحرر في مجلة «الفنون»، وسألته عن رأيه في الإشاعة التي تتحدث عن علاقة بينه وبين إحدى الهوانم في حي الزمالك، فظهر الاستياء على وجهه وهدد بالالتجاء للقضاء إذا نُشر أي كلام عن هذه العلاقة السخيفة.

حلم ٤٨٦

رأيتني في ترام روض الفرج ويجلس أمامي رجل في أوسط العمر حسن المظهر وبين يديه غلام في العاشرة يرتدي بدلة سهرة وهو يقول له: احتفظ بثباتك وأنت تغني أمام الجمهور ولتقم ببروفة الآن، فغنى الغلام:

«على دول يا أمه على دول»

فقال له الرجل: أحسنت، وعليك أن تنجح أيضا أمام جمهور الكازينو.

حلم ٤٨٧

رأيتني في شارع طويل يمتد تحت مظلة من الأشجار وإذا بأجنبي يداعب فتاة ويقبلها، وكان ثمة شاب طويل عريض يجلس على دائرة خضراء، فقام وتبع الخواجة حتى صار خلفه ومد يده يعبث بالمواضع الحساسة في الفتاة، فغضب الخواجة والتفت وراءه متوثبا للقتال ولكنه فوجئ بطول الشاب وعرضه فآثر السلامة، وأمسك العملاق بيد الفتاة وجذبها نحو الدائرة الخضراء، ولم يسع الخواجة إلا الذهاب، وتابعت أنا ما يحدث سواء في الشارع أو في الدائرة الخضراء.

حلم ٤٨٨

رأيتني في مسجد سيدنا الحسين رضي الله عنه وبعد صلاة العشاء تجمع جمهور لا يحصى عدده لسماع الشيخ علي محمود وهو يغني بعض الأناشيد الصوفية، وجاء الشيخ محاطا بالجوقة واستعد للغناء فساد الصمت ثم انطلق صوته كعزف الكمان وابتدأ بأن غنى:

رأيت الهلال ووجه الحبيب

ومازال يتنقل بنا بين القصائد والأناشيد حتى غنى:

كيف ترقى رقيك الأنبياء

ثم ختم بالصلاة على النبي وغادرنا المسجد ونحن سكارى من الطرب.

حلم ٤٨٩

وجدتني ضمن مجموعة من الرجال والنساء في حديقة الدير، وها هو الأب «ج» قائلا: أهلا بكم في عالم الروح، من ينوي إقامة طويلة ومن ينوي المكوث بضع ساعات. وتقدمنا بين الحديقة والمكتبة ونحن نتلقى شذى الأزهار وننعم بالهدوء العميق.

حلم ٤٩٠

رأيتني أعلم بالمسابقة عن أحسن مسرحية، وأراد بعض أعضاء اللجنة المكلفة بالفحص أن يعفيني من العمل منعًا للإحراج الذي سألقاه بين أصدقائي من الأدباء، ولكني رفضت هذا وقلت إن صداقاتي لا تمنعني من قول الحق، وظهرت النتيجة في وقتها وكان القرار بالإجماع وكانت المسرحية الفائزة لشخص جديد، وتبين أن المسرحية معجزة في عمق أفكارها وجمال بنائها وبلاغة أسلوبها.

حلم ٤٩١

وجدتني في القاهرة أعايش أحداثها، وسرى نبأ بأن الحكومة تعد مشروع قانون ذي أثر رجعي يحرِّم على النساء العمل وينشئ لهن تعليما خاصا يُعدّهن لشئون البيت وتربية الأطفال، وتركت الموظفات أعمالهن وتظاهرن حتى تعطلت الحياة في القاهرة وجاء رجال الأمن ولكن بعد فوات الفرصة، ووقعت أحداث عنف وسقطت ضحايا حتى أعلنت الحكومة في الإذاعة والتلفزيون بأن ما ذاع بين الناس ما هو إلا إشاعة كاذبة، ودعت المتظاهرات إلى الانصراف بهدوء واعدة بالتحقيق في أسباب الفتنة.

حلم ٤٩٢

هذا هو الأمير توت عنخ آمون ينسلخ من مستقره كمومياء ليسير في شوارع القاهرة بعد منتصف الليل، وإذا بقوة من الشرطة تحيط به وتمضي إلى المعتقل ولكنه يفلت منهم بطريقة سحرية ويعود إلى مستقره كمومياء، ولكن إدارة الأمن أعلنت أنها قبضت على مفجِّر القنبلة وأنه اعترف ودلهم على الخلية التي يعمل بها فقبضوا عليها والتحقيق مستمر.

حلم ٤٩٣

وجدتني في الحديقة الصغيرة في بيتي وأقبل عليَّ صديقي القديم «خ» بعد غياب طويل واعترف لي بأنه أفلس ولم يجد أي معونة من صديق أو قريب، وتذكرت سهراتنا في بيته أيام العز فأقرضته ما يريد، وفي الميعاد المحدد للسداد جلست في الحديقة أنتظر فترامى إليَّ عزف الرباب وصوت صديقي وهو ينشد:

«أمنت لك يا زهر ورجعت خنتني».

حلم ٤٩٤

وجدتني سائقا لترام النظافة وهو عبارة عن غرفة للقيادة، أما باقي الترام فهو فنطاس هائل، وكانت محطة القيام تقع أمام بيت العرائس حيث تقام حفلات الزفاف، ورأيت عروسين يخرجان من البيت وكنت أعرفهما معرفة الحي الواحد الذي يجمعنا، فدعوتهما للصعود فصعدا إلى الغرفة معي، وأدرت المحرك فراح الترام يسير على مهل ورش الفنطاس المياه فغسل القضبان ورش جانبَي الطريق حتى التمع وجه الشارع تحت ضوء المصابيح، ورحنا ثلاثتنا نغني:

حلالي

بلالي

وفاني الحبيب

حلم ٤٩٥

رأيتني في البهو الرسمي مع زملائي ننتظر إعلان اسم الفائز بالجائزة الكبرى وتردد الاسم وانهالت عليَّ ورود التهاني.

حلم ٤٩٦

رأيتني في زيارة للصديق « ش » المصاب بالاكتئاب، ثم غادرت إلى الشارع الطويل في الهزيع الأخير من الليل وسرت بلا أي رغبة في العودة.

حلم ٤٩٧

وجدتني أضيق بالزمان والمكان وأتطلع إلى التغيير، وعلمتْ أمي بما يساورني فحاولت إثنائي عما أفكر فيه، ولكنني صممت فكشفت لي لأول مرة عن جانب خفي فانفجرتُ ثائرًا، فانفجرتْ تصبّ عليَّ اللعنات وأنا أزداد تصميما فتقول لي: اذهب يا جاحد وسوف تعود متعثرا بالفشل، ولا رفيق لك سوى الدموع وهيهات أن ينفع الندم.

ملحق
الأصول المخطوطة

حلم ٢٠٠

وجدتني في حالة تأهب للصراع مع عدو شرس وتاقت نفسي إلى شيء من الراحة فصعدت إلى الدور العلوي حيث رأيت محمد علي الكبير يتلقى الإسناد ويفيض عظمة ولكنه جن جنونا

حلم ٢٠١

رأيتني أذهب إلى مسكن صديقي المرحوم أ ودعوته للذهاب معي إلى المقهى فاعتذر لأن اليوم سيتزوج أخته زينب فذهبت إلى المقهى وأخبرتهم وكلنا نتعجب لشدة قبح زينب وإذا بنا نرى موكب العروس قادما وهي محاطة بالشموع والجميع مستورات بالسواد من الرأس إلى الأقدام ويسرن بخطوات منتظمة عسكرية.

حلم ٢٠٢

وجدتني في بيت ريفي أخوض في الظلمة والصمت ولا صوت إلا نباح كلبتي الجميلة المتقطع وإذا بطلق ناري يخترق الليل والصمت فذهب صاحبي وبعد قليل رجع ليقول بصوت أسيف قتلوا كلبتك الجميلة فأصابني حزن حد البكاء وقلت أهم اللصوص فأجاب أو لعلهم يعبثون.

حلم ٢٠٣

وجدتني في مكان غريب يبعث على الأسى وإذا بحبيبتي قادمة تكلله بشيء خفي فتولاني شعور كئيب بأنني لن أراها مرة أخرى.

حلم ٢٠٤

رأيتني أنجو من الأسر بصعوبة وأركب وزة بيضاء وهي تستجيب لعواطفي بل وتشجعني ولكنني لفارق السن أتردد وأتمادى في التردد حتى تهجرني وحيداً مع الزمن.

حلم ٢٠٥

رأيتني أدرس القانون إكراماً للأب وأذوب في الأنغام مرضاة للروح وعند زواجي بالاختيار تضاعف بي العذاب ولكن الروح انتصرت في الختام.

حلم ٢٠٦

رأيتني في الولادة مع ابنتي يكون في جانب منه
الرجال والأزرق ودخل إلى بيت ثم فتح ليفتح الباب
وتخرج منه حبيبتي وهي تضحك وتبدو
وأمامها فضحكت وفرحت ونظرت إلى عيون وقت
الأذان العيد فسألت الزوجة الجميع وحضرت
أمي فباركت العروس وأحرقت البخور.

حلم ٢٠٧

رأيتني أسير في شارع طويل وفي بيت كبير الباب
مفتوح نافذة وفيها وجه امرأة [illegible] تتزوج
في الرغم من أنني لم أعرفها [illegible]
[illegible]
[illegible]
استيقظت في اليوم التالي وجدت الحلم باقيا في ذاكرتي
[illegible] وجدت [illegible] في جريدة الصباح تقرأ نبأ في
صفحة الوفيات فازددت عجبا واحترت [illegible]
وتساءلت ترى أيها ذا الأمر في ساعة الرواح!

حلم ٢٠٨

~~وجدتني في مكتبي [illegible] لشيء على قبل [illegible]~~
~~[illegible] العربية [illegible] ووضعت يدها في يدي [illegible]~~
~~[illegible] الحمراء بالزهور~~

حلم ٢٠٩

وجدتني مع الرئيس عبد الناصر في حديقة صغيرة وهو يقول:
لعلك تتساءل: لماذا قلت مقابلتنا ثانية بالذات
فقال: كلما شاورتك في أمر وجدتك متشبثًا بالتحفظ
كأنما أزعجتك فعجبت أن تتأثر صداقتنا بهذا الموقف
فقلت: أما أنا فلم تتأثر صداقتي من جهتي أبدًا.

حلم ٢١٠

وجدتني في شرفتي الشتوية وأمامي على بعد غير بعيد الفنانة
الفاتنة الموشكة مع وصفها فنظرت إليها بشغف وتعلقت نظرتي
بجمالها وظهرت لي شخصيتها أسطورة خفية فقال لي صاحبي: أبشر
فلم تعرف منزلة الحياة إن عرفته وحيدًا.

حلم ٢١١

وجدتني أمام منصة يجلس عليها الزعيم سعد زغلول وإلى جانبه
أم المصريين وإذا برجل يتقدم نحوهما أنه الزوج الحقيقي للسيدة
ويطلب منه أن ينسحب وقدم للزعيم أوراقًا ولكنه كان جادًا
وقال له يكفيني حب الأمة والشعب.

حلم ٢١٢

رأيتني أتأمل صورة في حجم الكف تجمع بداخلها سبعين فتى
لعله يشبهني وفتاة تشبه ب... فقلت أعجوبة نادرة تحكى
وتصدق.

حلم ٢١٣

رأيتني واقفًا أمام فندق مصر للأفراح في حيفا ورأيت أنوارًا
مرة بعد مرة وتتخللها نسمات بهيجة ولم أنفذ النور
في الظلام.

حلم ٢١٤

رأيتني في [illegible] الترام وتذكرت [illegible] التي نُشلت ولحقت
[illegible] فلحقت به فأخبرته عن حالي فقال
[illegible] وأنا أيضاً نُشلت فقلت له هيا إلى العباسية
[illegible] في الغرفة [illegible]
[illegible] التي [illegible]
[illegible] والتلاميذ.

حلم ٢١٥

رأيتني وسط جماعة من [illegible] وذهبت
معهم [illegible] فتصدت له فتاة منهم
[illegible] النفسية ثم [illegible]
[illegible] أحد [illegible]
[illegible] مع الفتاة فقلت
[illegible] وإذا [illegible] حقا [illegible]
[illegible] التي [illegible]
[illegible] الفتاة [illegible]
[illegible]
ولكنه في [illegible] جديد.

حلم ٢١٦

رأيتني في بيت العباسية أزور أمي ولكنها استقبلتني
بفتور [illegible] ثم [illegible] ربما لتعبر
لي [illegible] أني ذهبت [illegible] زوجة

حلم ٢١٧

رأيتني أسير في مظاهرة [illegible] الشوارع والميادين وفي
مقدمتها [illegible]
الناس [illegible] اللافتات [illegible]
[illegible]

حلم ٢١٨

رأيتني في المحكمة مع بعض الزملاء وقلت للقاضي إنني مختص بالتقييم الفني [illegible] في الرقابة [illegible] في مدير الرقابة أنه وضع [illegible] الرقابة [illegible] له بالجانب الفني وبعد المرافعات أوصى القاضي بأن تمثل الرقابة في جميع الدوائر الفنية كي لا تصدر الدولة قرارات متناقضة تثير الحيرة.

حلم ٢١٩

رأيتني في أسرة الشيخ العود [illegible] من المعادة [illegible] الحياة [illegible] ورأيت الفرحة في البيت [illegible] الفاتحة في [illegible] [illegible] [illegible] في [illegible] الأرض [illegible] الحي [illegible] ذلك [illegible].

حلم ٢٢٠

رأيتني في شقة الشيخة [illegible] [illegible] [illegible] الليل الشيخ المصري فقال لي: إنه [illegible] في [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الحال [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الخارجية.

حلم ٢٢١

رأيتني أقرأ السيرة الذاتية لسعد زغلول بقلمه واستمتعت بكل ما فيه وإذا بي أرى الزعيم يحيي كل [illegible] إلى [illegible] وقلت له إنني استمتعت بكل كلمة في الكتاب [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ولما رجعت إلى البيت وجدت زوجتي قد أعدت [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible].

حلم ٢٢٢

رأيتني أسير في الطريق الكبير حيث [illegible] بين الدول ويرفرف علم
الوحدة أعلاه تحت مظلة العدل والحرية والسلام [illegible] الآن
متحركة بين العواصم ووجدت في كل مكان [illegible] ويتقاسمون
في [illegible] ثم مضيت إلى [illegible] البحر [illegible] أصدقاء الطفولة
وطلبوا مني [illegible] فقلت لهم [illegible] إلى الحرم الشريف فنصلي
في مسجد [illegible] رضي الله عنه ثم نتغدى [illegible] ثم نذهب إلى [illegible]
[illegible] الشاي [illegible] وأنتم [illegible] الباب

حلم ٢٢٣

رأيتني أصلي [illegible] فإذا [illegible]
[illegible] وقلت [illegible]
[illegible] فقال لي [illegible]
[illegible] في [illegible]

حلم ٢٢٤

رأيتني معها في حديقة الشاي وهي تقول لي أنت [illegible]
[illegible] فقلت لها إنني [illegible] بنتي الكبرى
[illegible] تراجعت [illegible] فقالت لكني [illegible]
فقلت لها [illegible] البراءة [illegible]
[illegible] أحمد [illegible] م. ن. [illegible]
[illegible] في [illegible] أنه [illegible]
[illegible] في [illegible] الزواج فتذكرت الشعر الذي [illegible]
[illegible] عني
[illegible] بالذرة الجسور

حلم ٢٢٥

رأيتني في مكتبي أستقبل فتاة من قريتي [illegible]
[illegible] فتذكرت [illegible] وقالت [illegible]
[illegible] إلى [illegible] فقلت [illegible]
[illegible]

حلم ٢٢٦

رأيتني مع كتيبة من الجنود في خندق نغطي بالأعشاب
نتحين الفرصة للزحف ومفاجأة العدو وفي الوقت
نفسه نخشى أن يدركنا العدو من الخفاء
نسلط عليه نارنا فإذا به وحوش كما تروي الأساطير
القدامى.

حلم ٢٢٧

رأيتني جالساً مع المرحوم [illegible] في شرفة بيته الريفي تحت ضوء
البدر الساطع وفي حضن الليل الساجي وكان يقول لي:
أنت تعلم أني لو أردت لبقيت بساحته وعلى الرغم من أن
انقضى علي زمان الفجر وسافرت صوب الغيب إلى
حجرة مظلمة فحجبت فيها سنوات دون تكليف ولا معرفة
لسبب ذلك ولما عدت إلى قريتي كانت الأحوال
قد اختلفت ثم كانت النهاية فقلت له: لقد صرت في منازلة
جميع الحكومات وهم متآمرون.

حلم ٢٢٨

رأيتني في الإسكندرية ودخلت بيتونا القديم وتقدمت إلى الدار التي
شهدت مولد حبيبتي فعرفت في المشوار مشى تحت رأسي فقالت لي:
لما لم تتزوج إذن فقلت متذكراً ما جرى بيني وبينها في الماضية
إنها أخشى أنه تزوجتك أمر أوقفه والدي الثانية ومرت
السنون تتلقا وقال لي المحاسب إنه الدائم ووصلت إلى أشياء
موضع الترحيب.

حلم ٢٢٩

وجدتني في مقهى ريش مع أصدقاء ريش وكلنا ننتظر بدء الحفل
وجاء أنصار أم كلثوم حتى اكتملوا عددا وبدأ أداء الأستاذ
فرحبوا بي وصفقوا له كثيرا وأدرت الكرة من ... وتحقق
العزف محمد القصبجي ثم جاء عبد الوهاب وغنت أم كلثوم
في الدار وصاحب الشاي ونشرت الجرائد في الصفحة الأولى أسماء
ما تركنا جميعا في الفنار حتى تواصل العزف بين السماء
والأرض .

حلم ٢٣٠

رأيتني في ميدان كأنه بيت ... مكتظ بالناس وفي صدره
رجل يلقي نص الرسالة فلما انتهى من خطابه قلت له لعله
رجل ... وتلاعب بعقول الناس ... أمانة
في عنقك .

حلم ٢٣١

رأيتني أشاهد إبراهيم باشا وهو يقود جيشا وهو يتنقل من
صحراء إلى صحراء مستعرضا أبطال الدولة ويخطبهم رجلا واحدا
عند الفجر ذهب إلى مسجد الإمام الحسين رضي الله عنه وصلى
ثم رجع إلى ثكنته فشعرت بفخر كبير وحزن عميق .

حلم ٢٣٢

رأيتني في الغربة وجنود الشرطة أصدقاء المرشدين ورأيت أبي
قادما ... فانتبهت ...
... وقال لي : رأيتك ...
... أكرم ...
الليل .

حلم ٢٣٣

وجدتني في بيت العباسية وزارتني أمي وأخواتي في غاية
من الحزن لموت كلبنا العزيز الأمين ولم يكن يعلم
ذي سأتيهم على تلك الحال إلا أنه رحيل الأسرة.

حلم ٢٣٤

رأيتني صاحب مزرعة كبيرة أنشأت بها قرية حديثة فيها
ماء نقي وكهرباء وفي القرية أيضا وحدة صحية ووحدة
تعليمية ومسجد وكنيسة وهنا تذكرت أجور العاملين
وإذا بصوت المركز يقول لي: أنت متهم بالمزرعة
عن الخراج المطلوب من حولك وتركتهم الفلاحين
ونور بيانه إلى العشر.

حلم ٢٣٥

رأيتني مع جماعة من الشباب نستمع إلى الشاعر يلقي
"ذكريات من لاقح عطية في صباه" وهو يدعو الواقفين
إلى مقاطعة البضائع الأجنبية حتى الاستقلال والجلاء وهو يتبع ذلك
كتابة الصحف هذا كلام جميل ولكننا لم نستطع لعد
احتياجنا للضروريات فقال لنا: فلنبدأ بالمكتبة.

حلم ٢٣٦

رأيتني أدخل الشقة الجديدة يتقدمني البواب واختفى البواب
فشعرت بالوحشة وشدني الرجوع ولكني ضللت السبيل
وتطوعت أصوات لإرشادي تارة تقول لي: خذ يمينك
وتارة أخرى تقول لي: خذ يسارك ولكني لم أهتد إلى
سبيل وتساءلت باسم البواب ونسيت أصلي ومرجعي الطريق
فأسقط في الحيرة ولكني لم أفقد الأمل.

حلم ٢٣٧

رأيتني أزور حديقة الحيوان بعد أن استردت الصحة والراحة
ورأيت المنظر القديم في الزمن الغابر الحصان يتقدمهم
وخلفه وقيل بين يشجعونهم الخيول مع وجود جواد من السباق
والمسرح ثم فاز الحصان كله في المسابقات التي لا تنتهي ولم ينقطع إلا
بعدك من المسرح الجافة،

حلم ٢٣٨

رأيتني أتسلم صحيفة شهيرة من يد الشيخ الفنان وهو
يقول لي: لن تستمتع بها إلا حيث يلتقي النيل بالبحر ونصحت
إلى هذا الملتقى فوجدت الشيخ في انتظاري واستقبلنا
بالمودة وترنمت الحناجر بالمواويل العربية وما يلينا كان حتى
نسمع في الفضاء الرحيب آذان الفجر المبارك

حلم ٢٣٩

ودعتني أسرتي جميع الجموع المصرية فهذا يوم الانتخابات الحاسمة
التي يشارك فيها جميع الأمم ورأيت الملوك والرؤساء العظماء
يتكرمون في زي فتيات يتقدمهم أجمل امرأة
ودهشتها ورأيت بيوتي وزوجتي أتساءل عما سيسفر عنه
الانتخابات فرأيت وأثرت في العالم ومن بعد أعماق
البحر فقد تنبأت بوقوع كوارث

حلم ٢٤٠

رأيتني في حجرة أقرأ وفي الخارج تتصاعد هتافات بلغات
شتى فأغلقوا النوافذ وأسدلوا الستائر ولكنه اقتحم الحجرة
تعرضهم الأصدقاء وقالوا لقد نادوا بتيلك وأخذت كفنا فإذا
الزحام يقول لقد انقضى زمان العزلة

حلم ٢٤١

ودعيت إلى مبنى الإذاعة والتليفزيون لعقد لقاء طويل لمناقشة موضوع الإرهاب معهم وجاءت فتاة في ربيع من العمر الأول فشاركتنا الكلمة بحرارة وقلت لها رب صدفة خير من ميعاد فلعلنا نحسن استغلالها صنع الحرية فابتسمت وقالت: لعلنا.

حلم ٢٤٢

وجه حبيبتي العمري يلوح لي في كل مكان يستوي في ذلك أماكن العمل وأماكن اللهو والطرب وأماكن الراحة والاستشفاء وحتى عند طلوع الفجر يلوح لي وجهها العمري رغم تقدمي بمرحلة الجنون.

حلم ٢٤٣

ووجدتني أبحث عن دليل يثبت أن حبي كان حقيقة لا وهماً فقد رحلت الحبيبة في عز الشباب كما رحل الشهود وتغيرت معالم الشارع فاختفت الشبابيك الوردية وحلت محلها عمارة شاهقة مكتظة بالسكان فلم يبق من الماضي الجميل سوى ذكريات لا دليل عليها.

حلم ٢٤٤

ورأيتني واقفاً مع زملائي في الإدارة أمام المدير العام وهو يرمقنا باستياء ويتساءل كيف هان عليكم أن تبيعوا الكراسي التي تجلسون عليها وجاءه تبريرنا أن الوقوف أحب إلينا من الموت جلوساً.

حلم ٢٤٥

وجدتني بين الجمع المحتشد لمشاهدة إمبراطور اليابان في زيارته لنا وتصادف أن الزعيم مصطفى النحاس كان يغادر عمارة طبيب أسنانه فرمقته العيون والقلوب حتى توارى داخل سيارته وعند ذلك تذكرت أن للرجلين أسماء واحدة وإن اختلفت الأسباب.

حلم ٢٤٦

رأيتني أزور السيدة م لأطمئن على صحتها وكنت على صلة وثيقة بأولادها وعلى علم بالخلافات التي تفرق بينهم وراح كل فريق منهم يتهم الفريق الآخر بأنه السبب في مرض السيدة الطيبة أمهم فقلت لهم إذا لم توقفوا المعركة فإنكم ستقضون عليها.

حلم ٢٤٧

رأيتني مع بعض أصدقاء العباسية نتجه لمشاهدة الاحتفال بالمولد النبوي الشريف وفي الطريق مررنا على بيت الحبيبة فنفذت في نشوة بدأت حواسي وفي ساحة الاحتفال طفنا بالسرادقات وسمعنا أناشيد صوفية وعند نصف الليل انطلقت الصواريخ وتفجرت في السماء وصورت في شكل لا حدود من الأنوار ترسم أشكالاً شتى أبهاها وجه الحبيبة السماوية ورجعنا وما تزال النشوة تملأ جوانحي.

حلم ٢٤٨

رأيتني بين الجموع التي تزور المعرض الزراعي الصناعي السنوي وتشاهد معروضاته وإذا بالزعيم مصطفى النحاس يزور المعرض فالتفت الجماهير حوله وهتفت باسمه فانتعشت روح المعرض وازدهرت بالمعنى مع الجماهير ثم أطلقت بعض الطلقات النارية وتداعت مشاهد في ذكرى اليوم الطيب وكان أحدها يحمل شيئاً من القوة وظل ذلك حديث الجماهير.

حلم ٢٤٩

وجدتني مع الأسرة في بيت العباسية فطفنا بالحجرات حتى صعدنا
إلى السطح وهناك وجدنا بعض مرطبات [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] فقالت أمي هذا الموسم [illegible] [illegible]
[illegible] من [illegible] السور الخلفي فرأيت أمامي وإلى جانبي حقلا ممتدا
نهايته وإذا الشمس [illegible] [illegible] الكوكبي [illegible] في الأرض
[illegible] [illegible] رأيت بينها [illegible] [illegible] فيها [illegible]
[illegible].

حلم ٢٥٠

انتشر الفول السوداني إنتاجا وتوزيعا واستهلاكا وأصبح
[illegible] قوية في السوق وضاقت الحكومة بذلك فأصدرت قانونا
يحرم إنتاج الفول وتوزيعه واستهلاكه وكان من رد الفعل [illegible]
[illegible] جموع [illegible] [illegible] [illegible] من [illegible]
[illegible] الحكومة و[illegible] [illegible] أنصار الفول ورجاله
واستنبتوا أنواعا جديدة [illegible] العالم وتوفرت الأموال
[illegible] العهد الجديد بكل قوة وأمانة المشاكل السياسية
[illegible] والبطالة والتنمية [illegible] وسميت هذه الثورة
[illegible] بثورة الفول المباركة.

حلم ٢٥١

[illegible] [illegible] [illegible] للتدريس في [illegible] بالدور
الأرضي [illegible] في [illegible] [illegible] في الجبال
[illegible] في [illegible] [illegible] في الدور العلوي [illegible] الصغير
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] مع [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] في [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible].

حلم ٢٥٢

رأيتني ضمن جمهور يستمع إلى محاضر المستقبل؟ وهنا ادعى أحدهم أنه يتهكم ببعض المؤسسات فوقف محتجا ومعترضا فاعتبر المحاضر هذا مصادرة لحريته وغادر المنصة وثار ضجيج حوله ونادى رئيس الندوة الجمهور إلى المناقشة والاحتكام للعقل ولكن الجدل اشتد وانتهى بالاشتباك بالأيدي.

حلم ٢٥٣

هذا يوم الاحتفال بذكرى العقاد وجمهور يتدفق إلى مكان الاحتفال من الشخصيات الأدبية؟ لم تغب عن طريق وكانت مشاعري كما كنا نقرأ العقاد وأنا سعيد ومشوق ولكنها ذكرتني بأيام الدراسة حين جمعتنا أمنية لم نستطع أن نحققها فدعوتها إلى العقاد بعد أن التقينا لأول مرة فابتسمت ولم تنقطع كلماتي ولكنها وافقت دون كلام.

حلم ٢٥٤

جاء ابن أختي إلى بيتنا في العباسية وأراد أن يمضي أسبوعا في الإسكندرية وجاءني في الصباح الباكر ولكني وجدته أمامي عند الفجر فسألته هل أزعجه ثقل الحقيبة أن السفينة وافقت وأنا أحث عمر مزينة عالية فجئت للقبلة الوداع وقد ودعته بدموع غزيرة.

حلم ٢٥٥

رأيتني أتريض في الحي الشعبي حتى ليكبت طريقه بي بلا توقف وتستقبلني الأزقة امرأة عرفتها بصعوبة فأقبلت نحوي وسألتني كيف عرفت مكاني فقلت رأيتني عليه صورة من العهد القديم وحكى لي الحكاية كلها فقالت بنات من بعيد عرفت كل شيء وتنكرت لي ثم يعني لما أصبح التربة الأخضر لتجد الطيب وتدعوني إلى أن أتكلم عنها فقالت وبينما تعرفت بالروح وأنا أقول يا للتربة الصادقة.

حلم ٢٥٦

لم أنس مكانة صديقي ح الذي أنشأ لهو والده مكتبة في شارع
صالح وزودها بأفضل الكتب ليبدأ حياته العملية واستخدم في
محاسبته فتاة وسيمة لتساعده وقرأ الأوراق فتصبح الفتاة
مالكة للمكتبة وتستخدم صديقي ح عندها.

حلم ٢٥٧

رأيتني أشاهد فوانيس بيضاء من الكهرباء تضيء المنزل الذي
استقرت المرتبة فيه منذ طفولتنا وحتى انتهى منه أهله
ويصبح للسكان فتعلقت الزاوية بحبال تقاليدنا وسيفونه
عدله ولكنه عرسا جرينا فصحت اليه أكانت تشربه شعرها
الفاتنة عند إسدال الزاوية فأصبح مكتب لكل الرياضي ثم لنشاد
حراثة نباتية وانقضى في صداقتنا العمر ودرجت لليه شركة مكة
بعد لا يتقدم خلفه الليل وأصبح الزاوية قلاقل الست دار الرجال
الذي لا ينافس له.

حلم ٢٥٨

هذا أبي يغضب على أمي ويطردها من البيت فأثور
ثورة جنونية وأقول له كيف تطردها من بيتها فيلطمني على وجهي
بازدراء فخرجت هائجا وخرجت أبحث من الغضب عن الجيران وقال
في وقت وأغضب أمي ولكني عرفت وجهه أصبحت
أنت أدري بمعرفتها بغضب فذهب أبي إلى بيت جدي
عرسا أمي كريمة مكرمة

حلم ٢٥٩

سافر نوح حبيبي مع الفرنسيين فتورط بالعقاب
وحدنا نمشي في حدائق القصر وإذا بنا نرى رجلا مقبلا
من بعيد فارتجفت حبيبتي وقالت هذا زوجي وحذرتني بوجه
فاستقلينا مع السفن إلى الإسكندرية ليتبدد السراج الخطر والفزع
بلغ الليل مرحلة الشهية لعيف القلق واتفقنا مع رصيف المكة
كأنني منتظرة فمضينا القوارب الوهمية وركبنا العودة والفرار
لم تؤذنا.

حلم ٢٦٠

وجدتني أستمع إليها وهي تقول لي إنه لم يعطك من الزيت شفاف من [illegible] قد تقتل فقلت لها أنا [illegible] إلى [illegible] فقالت لي اتفقنا ولكنك في المدرسة منشغل وأنا أخاف عليكم فقالت إن حالها كلها بالعطف [illegible] ألف كم ما تقدرت.

حلم ٢٦١

رأيتني أشاهد المرحوم [illegible] وهو يقول لي إني جئتك لأبشرك بقبول أحب الزيارات فأنت [illegible] فقلت له لقد كنت صائماً [illegible] لم تكن [illegible] [illegible] أمر وكنت قد أطلت في صلاة الفجر في مسجد سيدنا الحسين.

حلم ٢٦٢

رأيت عمي وزوجته جالسين أمامي [illegible] ثم نحو أن أطلب له بيتاً فقال إنه أمامه [illegible] فقال لي الرقة فيك [illegible] فقالت [illegible] في [illegible] ثم [illegible] وأنا [illegible] لما [illegible] وهو يبكي [illegible] ذلك: أهي روح الحزن أم روح الندم

حلم ٢٦٣

رأيتني أجلس مع قريبتي وهي تقول لي: لا يعجبك الآن أن تختار الرجل المناسب لابنتها فقلت لها: إنه [illegible] فقالت لم تكلفني [illegible] واحداً فقلت وهذا [illegible] رفضاً قاطعاً.

حلم ٢٦٤

ذهبت إلى الإسكندرية لأقضي شهر العطلة في شقتي بالكابينة وجدت الشاطئ الجميل ومرت بي فتاة أجنبية واستأذنت في خلع ملابسها في الكابينة فأذنت لها وكان زوجها ينتظر مسابقة ستدوم شهرًا ثم يذهب كل منا إلى حال سبيله وانقضى الشهر السعيد فكتبت لها رسالة توديع ومضيت نحو السيارة المنتظرة فإذا بها تلحق بي الفتاة فأجفلت وسألته ماذا أخفيت.

حلم ٢٦٥

وجدتني واقفًا وسط الجموع في صف الجبهة والقفطان ينتظر وصف قسمان قسم للعوام كثير الضوضاء تنتشر منه رائحة الأطعمة الشعبية وقسم بالغ النظافة والأناقة فقلت لصاحبي القسم الأول لا يهمني العمل الوطني بحسابنا فقال صاحبي ولكن الحب في القسم الثاني فبادرنا فقلت له إني مستعد للتحرك.

حلم ٢٦٦

وجدتني في حديقة النزهة وصاحبي يقول لي إننا على أتم الاستعداد للرحيل ووجدتني حزينًا فقلت له لم أكد أتم دروسها فقال لي لا بد من تقديم حسن الختام ما دمت حيًا.

حلم ٢٦٧

دقت طبول الفرح في البيت القديم واجتمع الأهل وكانوا يخطبونني لكي أخلو بالي من أسرة وولد وولد فطلبوا مني أن أعرض بعض ما أملك من فنون التهريج فرقصت حتى أذهلتهم وأسمعتهم أغاني لا تسمع عادة إلا في مواسم الموالد والعشر وهنا تنبهت النسوة ووجدتني وحيدًا مع الشيخ في خريف إذ المسلكين إلي لي.

حلم ٢٦٨

وجدتني بين جماعة من الأصدقاء وهم يعلنون نيتهم في الرحيل وعرفتني للرحيل معهم وتكدر الشرب طبعا وكان ثمة جماعة أخرى ترحل مستغربة المشاهد والاستغراب وترمي الخبر منفعا لا نصيبت إليها.

حلم ٢٦٩

وعادني المرحوم المنسي د. شاهدت بإخراله الجديد فجلست مع الجالسين وقال المرحوم بأنه موتك جديد وتحديه بتياح ودخل سيارة صغيرة وجلس أمام عجلة القيادة وضغط على زر وإذا بالنار تلتهم السيارة وما فيها وما زالت رائحة الموت تملأ خياشيمي.

حلم ٢٧٠

رأيتني راجعا من عملي إلى بيتنا بالعباسية ووقفت برهة أمام النافذة أتطلع إلى نيللي جرجس ابنة أسرة صديقة تزوجها وإذا بشقيقتي تقول لي إنك تحبين توفيت وهي تنصح لولدها الثاني فتعجبت وشعرت بأن الدنيا فقدت لونها.

حلم ٢٧١

رأيتني ألعب كرة قدم في المنتخب على ملعب مزدحم حين وصالة محجوزة وتكسر علينا ما جنيت لاعبين في المباراة وإصابة المرمى فراح المشاهدون يحرضون أبطالهم على الجري للتخلص مني ووجدت أمامي وإذا بالكرة تنافرني وتصعد في حتى رحلت جميع من حولهم وهي تنافسني وما زالت الكرة تصعد في حتى توارت بين السحب.

حلم ٢٧٢

وجدتني مع مصباح عمري المديد فطلبت منه أسرار الحياة إلى جنبي فخرج ويتلمع الوقت تسمع همسات نرافقها صغيراً ملتف ولا ندري كيف يطلع لنا ما تلقى ورأيت أمينة الأقدار التي أنارتني لمشاركتها تتقدم بالرضا وكلما رأيت أسماء الفاحشين والشامخة تزغرد لنا شمّ أنفاس الأزهار بنسيم الطبيعة فرجعت إلى الصباح ورجوته أن يعيد الأزهار إلى طبيعتها.

حلم ٢٧٣

وجدتني في مقعد وثمة رجل قادم لم ينتبه لنزوله صلة متسولة لرثاثة ملابسه ونحافة وجهه وكثرة شعر رأسه ما لبث أن عرفته ومضيت إليه وسلمت عليه بحرارة فرنت عيناه وقال لي إنني أزورك بعد أن تمت لي مكانتي وبلغت الآن صورة الكتابة فقال إنه أمضى سنواته وحيداً متخبطاً في غربة ولم يكن له أيام في السجن وهناك شوهد الكاتب والأديب يجيء ويفقد الماضي والمستقبل فسألته عن الرسالة التي يحملها إلى الوطن فقال إنها رسالة لأنه لم يشعرها في زمنه إلا كلمته تكلم أنه تقدم حتى لا يدري بعد أن ذهب النوابغ وأضحى تحرراً فقلت له وتكلم بصوت لا تكلم أمر تمثل الصلح فقال صمتنا فرصته وأضحى لي أمر أن أذهب قبل أن يراك أحد فلم نعلم عنه الظنون.

حلم ٢٧٤

رأيتني في حديقة الأزهار والورود محروسة بالأشجار وعصفور صغير الأسير الأرضي وتقبل تغريدات الحياة من الزهور وننتظر ما تفيض بالرحمة فخضعت الأوشاب حرمة الشهداء.

حلم ٢٧٥

رأيتني أقابل ليلى بعد أن تقدمنا في العمر وتحاورنا فترة المساء فقالت لي: إنها في مطلع شبابها تمنت أن تتزوج مني وأنها أتاحت لي الفرص لكي ألتفت إليها ولكنني كنت أمر بها كأنني في غيبوبة وتذكرت أن الغيبوبة كانت غيبوبة الحب الشعلة الذي وهبني عمر السراب مثل النجوم ومن لي عنوان مثل السراب.

حلم ٢٧٦

ذهبت لتكريم بعضوا في لجنة إختبار القبول في معهد موسيقى البنات فتوصلت مرشحا جالسا بدأ لنزعاج من البرلة والكراهية ونده وكانت مديرة المعهد خطيبتي فلما أشتكى في الجلسة تطلعت وقالت يجب بنا أن تعطى نظرة للأسف من تتعرض للفتيات أنها متصلة مع رواية جادة للجمهور ولمحت وجهت في أذني أحد أعضاء اللجنة أنها خرجت من تعلمني الموسيقى فانقبض صدري وكانت صفة المتولة السبب التي شعرت في فسخ الخطوبة فيما بعد.

حلم ٢٧٧

وجدتني مع صاحبي في حديقة وهو يقول لي: أنا ليلى أستعد في أن كنت تحبها فقلت له: كنت وما زلت أحبها فقال لي: كيف تزوجت في الليلة الأولى فقلت: وجدتها لا تكفي حياتها إلى تركيبتي خوف فانصح وأن أثبت الحرب مع الفراق.

حلم ٢٧٨

وجدتني أتشوق بعد لمس فتاة تلوح لي في شرفتها معلنة عن رغباتها وبالإشارة تواعدنا على مواصلة الكلام تقابلنا ولكني وجدتها مع من تخيلت فصرخت وهبوب الرغبة الأولى كانت متبادلة ولكنها لم تعد تظهر في الشرفة.

حلم ٢٧٩

في حلقة سمر نويت الانضمام إلى النادي القومي للعب الكرة وفي الوقت نفسه تلقيت دعوة للسفر من أجل الحصول على جائزة متميزة ماذا أفعل وإذا بيارت التي لم أكن أعلنت خطبتي لا بد تعوض جائزة السفر بدلاً مني وهكذا بدأنا حياة مشتركة في الحب والتعب.

حلم ٢٨٠

وجدتني في حديقة أرضها مغطاة بالزهور وفي مكان ما شيخ طريقتي وحيدة فقلت للشيخ لماذا هو وحيدة. فقال لي: انظر إلى عصاي لم يشتغل له وإلى ريشة تنبئ أنها تستجيب لي وريشة تنبئ لا يعطيهم جهد وضحايا لها لا يحميها منهم حجر كذلك، فأي إنسان يجد السعادة للاقتراب منها.

حلم ٢٨١

وجدتني في الاحتفال بالمولد النبوي أتمشى بين دكاكين الحلوى وقال لي الحلواني خذ من هذه الحلوى البيضاء فيها سر القلب وخذ من الحلوى الحمراء فيها تتفتح أبواب السماء ويطير المرء بغير أجنحة.

حلم ٢٨٢

وجدتني أقرأ في حجرتي وفي الجهة المجاورة تدريب المرحومة أمي على [illegible] الصلاة وإذا بفريدة الحسناء المرحومة تطلع غاضبة وهي تغني أغنية مؤثرة فغضبت المرحومة أمي وقالت لها: لا تعطلينه عن عمله.

حلم ٢٨٣

وجدتني في السوق الملكية أمام قسم العسل أسأل الموظف
عن العسل الذي كان البدو يبيعونه في الجوامع والخلاويات
فقال لي إنه متوفر ولكنه غالي الثمن، والعسل البلدي خير
الطعم فابتعت منه ما أريد حملها مع صعوبته.

حلم ٢٨٤

رأيتني أعود إلى بيت الحي الصافي حيث المعبد في
سوابه وكنت لدى البدايا جولات خفيفة بين المراهقات
ثم تجتذبني الرغبة المحمومة ثم تندفع لتشبع الشبق
الثقيل وراء استمرار النزوة الندم الكبير ولكني
لا أتطهر أستحم وأصلي ثم أرجع إلى المحراب.

حلم ٢٨٥

رأيت فيما يرى النائم أني أملك قطعة أرض بجوار بيت عمي
ملاك آخرين قطعوا فيها بيني وبينهم قوم آخرين وجاءت إلى القضايا
يتكلم بأسف الملاك ولم يبق منهم وكلهم لم يكتفوا بهذا
الحكم واستمر النزاع وتفشت تحديات بل وقع الاعتداء على
وأنا عائد إلى بيتي ليلا ومارست القضية ساعة وأنا لا
أتنازل عن حقي المشروع.

حلم ٢٨٦

رأيتني في مظاهرة صاخبة تملأ الشوارع والميادين ولمحت
بين المتظاهرين أناسا من رجال مصر ونساء في أزمنة
مختلفة وإزاء تجمعهم احتدت وتحولت المظاهرة
إلى مظاهرة هاتفة بهتافات عدائية وتكهرب الجو
وأنذر بالخطر.

حلم ٢٨٧

رأيتني مع الحرافيش في عربة حنطور تتصدرها الراقصة [illegible]
تتوهج منها أنوار الحب وتعزف تنقل مباهج [illegible]
عن كيف نتمتع بالحب المناسب حتى إذا بلغنا القرافة
تنفصل العربة التي [illegible] وتنطلق فنجد
أنفسنا نتخبط في الصحراء التي ليس لها حدود.

حلم ٢٨٨

رأيتني مع بعض المثقفين في بيت [illegible] وهو يذكرنا
بعصر أنواع العذاب الذي ابتلي به كعذاب الطفولة
والمراهقة والشباب والكهولة والشيخوخة وثمة عذاب
[illegible] أن الذي لا أريد له [illegible] وتدور [illegible]
لنكشف عما وراء العذاب قال ذلك وأسلم
الروح [illegible] أي شيء آخر.

حلم ٢٨٩

وجدتني في سرادق لا مثيل له في طوله وعرضه يتصدره الزعيم
سعد زغلول وحوله جمع الوفديين القدماء والوزارات والمناضلين
من الوفد والأحرار الدستوريين والمستقلين وبقية
الأحزاب ويقول سعد إنه طلب لمقابلة المسئول الأول
[illegible] إليه بصحبته ثروت باشا و[illegible]
ومصطفى النحاس ويتقدم إليه بطالب [illegible] أي [illegible]
[illegible] هنا [illegible].

حلم ٢٩٠

صعد رجل مستور الحال وتزوج من امرأتين جميلتين يذهب
إلى بيتهما في آخر النهار فيجد المرأتين على أحسن حال والمائدة
حافلة بالخيرات والورد [illegible] من الداخل والخارج والعشاء
[illegible] الزوجة [illegible] الرئيس وتحدث المرأتان عما
[illegible] في السوق فيقول الرجل [illegible] المحروسة
خير ولا [illegible] ثم يتقدم العشاء
و[illegible] رأسي و[illegible] وتقول
[illegible] أنا الطبيعة الرئيس [illegible].

حلم ٢٩١

رأيتني مع المرحوم المستشار ... ومعنا مندوبة الوزارة التي ندبت لفرز مستحقاته أو أوراقه ... وقدمت لصديقي المستشار الفتاة باعتبارها خطيبتي فدهش وقال لا أحد يعلم أنني خاطب فقلت إننا أجلنا إعلان الخطوبة حتى تنتهي الحرب ويرجع أخي بالسلامة.

حلم ٢٩٢

رأيتني في معرض الفنان ... أمام صورة لمحبوبتي ... فقدمت للفنان صاحب المعرض تحية تقدير في صورتي ووجهها فقال لي إن هذا من مقتضيات الفن فهو لا ينقل الواقع كالمصور فقلت له ... أبقيت على الأصل فهو ... [illegible] ... ولم أدر ... فوقفت أمام الصورة ولم أحول عيني عنها.

حلم ٢٩٣

رأيتني ألعب في فريق مصر في أهم مباريات الموسم ولعبت ... صفوة ... [illegible] ... فبذلت أقصى ما لدي من براعة حتى ... الجمهور ... [illegible] ... الوقت ... الحريم.

حلم ٢٩٤

رأيتني واقفا أمام مفتش الضرائب فأقدم له بيانا ... ويتفحصه بوجهه الصارم ... الضرائب الطلوبة ... إلى كشف الأموال الواردة ... وقدمت الضرائب المطلوبة ... [illegible] ... فقال ... إننا ... الدولة ... التنمية ... [illegible] ... إليه ... بالعصى.

حلم ٢٩٥

في الصباح الباكر أتأهب لمغادرة البنسيون فاكتشفت أني فقدت ساعتي وفي الظهر فكرت في إبلاغ الشرطة وإذا بصبية تقف أمامي وتسألني ماذا جرى بها ولم أكن رأيتها منذ زمن طويل وتبادلنا حديثاً طويلاً وذهبت وزارني البقال في قصة السرقة مع الشرطة وقلت له أنت الذي يعرف كل شيء عن ضياع ساعتي فقال البقال مثلك أحببت يا أستاذ فلماذا يخفق قلبي لمن قلت صنع الحب الفتاة ودعت خطيبها من إبلاغ الشرطة وحملت حقيبتي وغادرت البنسيون وصوت البقال يطاردني قائلاً مثلك أحببت بخسارة!

حلم ٢٩٦

أمام بيت صديقي ثم رأيته يغادره ويناديه ويتوسل فقال لي أنظر كيف يعاملني صاحبك لمجرد أنني تأخرت دقيقة في السداد الثاني وذهب ودخلت فوجدت صاحبي في لوعة من فراقه وصدقني بأطوار الذي فارق البيت وجود أصل الأشكال وقال لي صاحبك سيعرف أنه أسير البلد بلا مأوى وظل الباقي فأطلقه النار فردوه بالعصي من كل جانب حتى سقط فاقد الوعي

حلم ٢٩٧

أجلس وحيداً في مقهى أتناول طعامي وعلى مقربة تجلس امرأة سوداء التي كانت تنظر إلى الطعام بنهم فتبادلنا إشارة فلمست الجوع ودون تردد والتفتت إلى الطعام بنهم فانصرفت بعيني رغبة مع التراجع ولكنها استمرت وقالت إذا لم تقم من سيتعب الطعام فأكلت الطعام وأنا أرقص مثل متبرعة أكرم متسولة

حلم ٢٩٨

رأيتني أسير في الظلام وشيء يتحرك هنا وهناك في [illegible] فالتفت حولي فرأيته [illegible] إلى قتال [illegible] الزعيم [illegible] [illegible] الرصاص [illegible] بالأشباح تنقض [illegible] بالقمامة [illegible] الزعيم الجليل [illegible] [illegible].

حلم ٢٩٩

رأيتني في زيارة لليابان [illegible] [illegible] الحبيب إلى [illegible] العرب وقال لي [illegible] اليابان العربية والزراعة [illegible] [illegible] في الحرب والديمقراطية. فعاد إلى [illegible] الأول لهذا السلام.

حلم ٣٠٠

رأيتني أنا وزميلي في إحدى إدارات الوزارة وقد خلت الدرجة الرابعة بانتقال رئيسنا أن يقدم لنا استقالته [illegible] ترقية [illegible] وإذا بترقية تنقل من وزارة أخرى وترقى في الدرجة فغضبنا جدا وقررنا تقديم شكوى لوكيل الوزارة ولكننا رجعنا لمستقبل الموظفة الجديدة [illegible] [illegible] الثقافة [illegible] بأنها [illegible] لم تتزوج بعد [illegible] جمال المرأة [illegible] لنا من تقديم الشكوى.

حلم ٣٠١

رأيتني صبيا [illegible] السابقة [illegible] [illegible] في الزواج [illegible] الدراسة قالت لي أنت [illegible] سنوات [illegible] [illegible] بيت [illegible] [illegible] أبيهم [illegible] فأجبته [illegible] [illegible] [illegible] أرض.

حلم ٢٠٢

منذ تعييني سكرتيرا للمجلس الأعلى لوزارتنا وانعقد المجلس وإذا
بالسادة يدخلون حاملين الصواني المليئة بالفتة واللحم وينقض
عليها الأعضاء فيسوونها مسحا ثم تدور المشروبات وتتم الموافقة
على ما انتهى المجلس ويرجع معيته بالعربة إلى الوزارة ويجيء
زيارات الموظفين فحضر مع مدير الريفي الحميم الموسيقار محمد عبد الوهاب
متأبطا عوده وراح يغني قلبي اشتكى وفتنت أذني الشوق فنهضت وأنا أبكي

حلم ٢٠٣

وجدتني مرة أخرى في هذا اليوم الذي فيه استقر إلى بيتي
البيت الأول وذهبت إلى الوزارة فلم أجد في المكتب أحدا
وعرفت أن الوزير الجديد للوزارة وطلب لقاء موظفي مكتبه فذهبت
وقلت له لن يجد في المكتب سواي فسألني عن عملي فقلت السكرتير
البرلماني تولى مراسيم البرلمان فقال يبدو يا باشا الباشا
أنت لم تدرك بعد شأن البيت فنظر إلى صاحب
فشعرت الوزير الموضوع جانبه ورسم شراع البيت
خزانته والأثاث الفخمة وفارس الحجرة مهرولا.

حلم ٢٠٤

وجدتني فوق سطح البيت القديم أعد النجوم في ليالي الصيف أو
أسبح في ضوء القمر أثناء ليلة القدر فيرفرف صدري أمانيه
ثم تغشى الظلمات.

حلم ٣٠٥

وجدتني بين أزهار الأسرة وفيما كنت أتجول منفردا كأنه وردة بيضاء متفتحة وكلما نأخذ منها للعب في أي ريح فيتخاطفه الشخصيات ويستعيرونه في بيوتهم فكان لأجمل بيوت الحي وعندما يعيدونه كان يشمله الفرح ويركض بزينة الخصوص وتقول لعرش حبوب طفا يا قلبي أنت لا تعرف راحة إلا إذا كنا البيت أصفى فيما تتردد مع وجهك الفائت الحب الذي لك.

حلم ٣٠٦

رأيتني أسير مع أبي وهو توصلني إلى المدرسة خان جعفر الأولية فأخبره إن الشركة مراتب أمي وهو يشير نحو مسجد سيدنا الحسين مراجعة إلى معلمنا كيف يعرف الله أن تأملني كل صباح إن الأولاد الأطفال الشيخ منها لرد مع أصابعي بلطف لا شقة الأسباب والخير ما سبب.

حلم ٣٠٧

استعملت فضلا واندفعت أجري كالمجنون فتجاوزت العباسية وواصلت دون توقف في العباسية حتى وصلت إلى قسم الأزهرية وهم مجتمعون في الظلام فعرفتهم قبلي وارتميت إلى أحضانهم هذا الحدث حركت لهم أتعرفون لقد انطلق المجرمون مجانين حديقتي الصغيرة فلن يكونوا حرموا للثواب لذا فالسماء ما قلت لهم مند أن حبيبتي نطرت نزلنا إلى الحديقة وانتهت وصيتي أنه أحتمل الحياة بلا حديقة ولا ابتسامة.

حلم ٣٠٨

المتحدث في التليفون صديقي المرحوم ؟ ويقول إنه حصلت أزمة تطرح إلى بيع بيته وهو سبب حزنه وقلة ذكرياته ولكنه أن تتمتعها شخص سواي وتكمن لي شرطه فسألته عن الشرط فقال أن تشمل برعايتك أرملتي.

حلم ٣٠٩

وجدتني في حجرة المومياوات بالمتحف المصري بصحبة أمي وكانت تتأمل ما حولها وتقرأ الفاتحة على أرواحهم ثم وقفت أمام تمثال امرأة وقالت لي إذا أردت أن تتذكرني بعد وفاتي فما عليك إلا أن تقف أمام ضريح السيدة وتتلو الفاتحة.

حلم ٣١٠

ذهبت مع صديقي إلى المسرح القومي وكانت البطلة المسرحية تشبه حبيبتي جدا فأعجبت بها وصفقت لها كثيرا حتى قال لي صاحبي ما هي إلا امرأة مذنبة ولا يليق بها إلا الخزنبرك.

حلم ٣١١

رأيتني مع صديق مثقف في أحد أندية الريف أجمل الشبه بجيبه وعينيها وعيني حبيبتي غصب وطيبة ووزر المطرقة معها لم تشغل فيها ولا تبارك من الحب فيتذكر في حالة بكاء كثير أنه في الفيلم وجد لازمته حلا أما أنا فلا أجد حلا.

حلم ٣١٢

وجدتني في متحف الشمع مع غانيات الجنوبي السابقات وزعامات العصور المختلفة وسألت المرشد كيف يحتفظ الزعماء بذواتهم فأجاب بأن السر يكمن في الاحتفاظ بدرجة حرارة معينة أما إذا اختل النظام ودرجة الحرارة فالحسن والزعامة تتحول ولا يبقى إلا التراب ونشارة الخشب.

حلم ٣١٣

رأيتني أعاصر البناء الجديد الذي يشبه مكاتب الكازينو وحدائقه المترامية وتراص البناء طولا وعرضا وارتفاعا حتى أطلقوا عليه اسم مصر الحديثة وترددت في جنباته جميع اللغات حتى قال زاعق الجامعة هذا قبر خوفو وقدم طلوله.

حلم ٣١٤

رأيتني أسير وحدي في شارع الجمهورية في الصباح الباكر
وإذا بسيارة تجيء من ناحية كوبري الجلاء مندفعة بسرعة
جنونية ترتفع عنه وتسير فانشقت رأيت جزءًا منها ضخمًا
ناحيتي واستقرت في الشق ووقفت عند الرصيف
نصف ميتة. ولما أفقت وجدتني فوق غصن ضخم في أعلى
الشجرة ونظرت إلى أسفل فرأيت السيارة محطمة ولم
أدر كيف نجوت ولا كيف ارتفعت.

حلم ٣١٥

وجدتني في سفينة نيلية محملة بجمع العمال لخلية الغزلان
علف ومعهم [illegible] رأس هديرية ولما تقاتلوا فإذا
خرجنا أقبل القراصنة ضربًا وقتلًا حتى ظهرت السفينة
فسارت إلى الشط برحلتنا إلى القناطر الخيرية وخاصة
في الليالي القمرية

حلم ٣١٦

رأيتني في الشرفة أنتظر صديقي طه نسيم أيام من
وفاته وجاء متأخرًا عن ميعاده ومتخليًا عن غير
طبيعته وارتمى على المقعد وأجهش في البكاء ثم
قال طالما تمنيت أن تتزوج وما أنا كنت أنتظر.

حلم ٣١٧

رأيتني أسير في جنازة أبي والحي بين الشيعين تأملت وتوزع
فتذكرت حوالة أبي الحالية وهكذا عرفت أحلام الطفولة
وبداية الأحلام.

حلم ٣١٨

رأيتني أتلقى رسالة بالبريد من ع تحتوي الرسالة إلى المصلح وفتش النفس من الثلاث والأحزان فرحتني حولها تحت الشمس في الحقل المتلاطم والتقت من قلبي ضحكة صافية ورحت أطير بغير جناح.

حلم ٣١٩

وجدتني في مدينة الأحلام والأشباح أمشي مع الماشين في الخفاء وصاح المرشد أننا ملكنا أخيرا على المصباح المنير فرشدت حتى وصل قرص نورها في جميع الجهات فتبدلت المدينة في أبهى صورة وأشرقت الوجوه بالبسمات.

حلم ٣٢٠

رأيتني أحتفل مع الحبيب بعودته من رحلة مرهقة ورفعت القدح فلبيت فنيت أمامه يا ساقي يه تعرض للموسم فحيه وقلبه لسه المقدم فليل وجاوزنا بالقتال رضية من الرهبة أن الكل رحت ملأ أطباق الشهيات من أشياء شتى أما الطعم الرئيسي فكانت الصدرة الباكية و الطمي والليل إذا هجب ناويلك سبله ونا قلبي وقال الحبيب ضع الليل خير من ذلك حصير.

حلم ٣٢١

رأيتني في ميدان النصر فقابلت الإنسان تركي ثيب محمود تسلمت عليه بحرارة وسألته عن أم العقاد لي أنه وجد ضرة مكانه في مولده الوحيد فكلمناه صديقي وأنت تعلم أن بيوت وسط المدينة متآكلة وخربت وكلما أخي فقدت صديقي الزمن وبقي في بيتي وفي حضن الحرب الكائنة بالسلام.

حلم ٣٢٢

رأيتني سواقا لعربة حواريتي التي أصبحت تسير بالكهرباء بدلا من الخيل والطلع من الساحة حتى تتسع الحديقة فالحديقة فيها لتفرح ولتلعب مسبح ورحبت القاضي ثم أقف للاستراحة أمام بيت النعيم وكانت جميع من ميكليين عندي من الحسن اللطيف وفي مقدمتهم جميلة في درب قرمز ورحمان البامسية وتمنيت أن تشغل الحظ ... ساقية على شكل رقم الثالث وأن يأتي إلى الحريم فأكاد وراء الوجه خيال أحمر.

حلم ٢٢٣

رأيتني ألعب عشرة طاولة مع الزميل ى مضبطه وصويغشي وكدنا نشتبك في عراك لولا أن تدخل أصدقاؤنا ففصلوا بيننا ودعوتهم لعشاء عند الحاتي الكبابجي ثم ذهبنا إلى مقهى الفيشاوي حيث جمعنا شملنا ثم يوم الهنا حتى صفا لي.

حلم ٢٢٤

رأيتني صبيا ممسكا بيد أمي ونحن نسير أمام مدرسة عليا ويلوح لنا أخي الأكبر فتدعو أمي له بالتوفيق وطول العمر ثم نجري مع أمي أمام المدرسة الحربية وإذا في أثر الطالب بها يحمل البندقية ويذهب ويجيء فتعطيني أمي صندوقا من الكرتون مليئا بالفطائر والكنافة من صنع يديها فأذهب به وأقدمه لأخي فيقبلني باسما دون كلام وأرجع إلى أمي جريا.

حلم ٢٢٥

رأيتني صبيا جالسا أمام أبي المتربع على الكنبة بعد صلاة العشاء أحدثه كالعادة عن أخبار اليوم فقلت له إن أخي الأكبر أخذني أنا وأخي وزرنا المتحف وحدثته عن التماثيل والتحف فقال أبي لأخي هل أنت تزور المتحف الذي لم أزره أنا ولم أزره

حلم ٢٢٦

رأيتني طفلاً بجلباب وطاقية وأمي في البيت القديم
تستقبل أم علي الداية وحفيدتها صفية في شقة سطح، فانتهزت فرصة
انشغال المرأتين في الحديث واختفت صفية معي [illegible] إلى السطح
فاقترحت علي أن نلعب لعبة العروس والعريس ولكن أمي أدركتنا
قبل أن تبتلع العروس عريسها.

حلم ٢٢٧

رأيتني طفلاً بجانب سرير أمي وخادمتي تروي لي قصص الريف
لعمرها ومغامراتها ثم اختفت فسألت أمي عنها فقالت إنها أرادت أن
ترجع إلى بيتها والأولاد وعاشت في الريف فظهر في وجهي الحزن
فقالت أمي معاتبة ألست أروي لك كل ليلة عجائب القصص من الإنس
والجن

حلم ٢٢٨

رأيتني أطل من النافذة فأرى جميع الحرافيش أمام الباب
فأنزل وأسلم عليهم وأدعوهم إلى العشاء وطلبت منهم أن أذهب
لأدعو لهم المشايخ ولما رجعت وجدت المكان خالياً فسألت البواب
أين ذهب أصدقائي فأجابني أنني جئت وحدي.

حلم ٣٢٩

رأيتني جالساً مع أسرتي وإذا نوبة من البكاء تنتابني بدون سبب فكلف أهلي من عرضني وإذا أنني لم أزل في الدراسة ومضيت أزور آل الحسين والسيدة وزيارات معي لسيدي لسبب فكتب لي صبايا ولعدة مرات توقف البكاء وخلقت خلقاً جديداً أدهش أهلي والمدرسين لدرجة أنهم رأوا تفوقي.

حلم ٣٣٠

دخلت المحل وطلبت خطيبة ودخلت محبوبتي ب مع زوجها وطفلها فصاحت أخيراً من دار الذي لها بالتضحية واعتذر لي بأن الفناء قد نفدت فغادرت المكان وهمت على وجهي حتى نهشني الجوع وصار فتى بكل قوة وفلافل فدخلت.

حلم ٣٢١

رأيتني أمام سرايا الزعيم في وهو يتجه إلى أخيه الصغير ويقول له لا تظن أن قرابتنا تحميك من جريمتك والماء مستمر بصعوبة الشاب الصغير إلى رأسه والماء الناس راجع البائسة في السماء

حلم ٢٣٢

رأيتني في الجمالية وأهلها منطلقون ليدلوا بأصواتهم في الانتخابات وإذا بالزعيم مصطفى النحاس يخطب داعيا لوضع دستور جديد يقوم على مبادئ الحرية والعدالة الاجتماعية والوحدة الوطنية واحترام حقوق الإنسان.

حلم ٢٣٣

رأيتني ألقي محاضرة في قاعة مزدحمة مكتظة بالبشر عن الحب والزواج ثم جاءتني بطاقة بغير إمضاء يسأل مرسلها عن رأيي فيمن يضحي بالحب والزواج حفاظا على فنه فدافعت عن الحب والزواج وضربت الأمثال وعيني تبحث عمن ظننت أنها صاحبة البطاقة فطار قلبي يخفق بشدة

حلم ٢٣٤

رأيتني بياعا أقف أمام عربة يد وأنادي على بضاعتي بصوت جميل ولحن مبتكر:

"العراجين يا ملوانا"

حلم ٣٢٥

رأيتني أتجول في روضة فرأيت أبي يستقطر العطر من الورد والزهور ويملأ القوارير من العطر حتى الفجر ولما حضر الموت إليه أختي رحت أودعه فقال لي: إنه ذاهب ليستقطر العطر من خمائل الورد.

حلم ٣٢٦

رأيتني في السوق أبتاع قرطاسًا من السمك الصغير وفي البيت استقرت سمكة طولا وعرضا وتذوقت تمامًا وغنت:

- أنا كنت صياد حظك وصيد السمك قسمة.

حلم ٣٢٧

رأيتني في مكان الثور أدير ساقية معصوب العينين ثم فككت العصابة فرأيت على بعد خطوات جميلة ترقص فدب في نشاط جديد وتدفقت المياه إلى القناة وأنا أحاول الوصول إلى الجميلة قبل أن تخور قواي.

حلم ٢٢٨

وجدتني مع أمي وهي تعطي سندوتشات فول وسندوتشات بيض ولما كان البيض محرماً علي بحكم الطب فقد تناولت الفول ووزعت البيض مع الشطائر فقال الناس يا له من محسن كريم.

حلم ٢٢٩

رأيتني في سرادق مع آخرين ونحن ننتظر نعش المرحوم الدكتور ع ولكن حدثت معجزة إذ ردت الروح للمتوفى وجاء إلينا فاستقبلناه بالهتاف والتصفيق ودعانا إلى الغداء ففر بعض طار من الذعر وآخر لم يدر كيف يواري شعوره بالخيبة.

حلم ٢٣٠

رأيتني في بيت واحد مع لص واشترطوا علي ألا أبرح المكان إلا حين يسمح الطبيب وكان الطبيب يمر كل صباح وبعد ثلاثة أيام سمح لي بالخروج حين آنسات مدرسة حياة الفارقة.

حلم ٢٤١

رأيتني عند قاعدة تمثال عال للزعيم جمال عبد الناصر وقد أجروا مسابقة لاختيار اسم له فاشترك كثيرون وكان الاسم الذي اقترحته نصير الفقراء.

حلم ٢٤٢

استقبلت في بيت العباسية جميع الحرافيش ورحبت بهم أمي وقالوا إنهم غير راضين عن بقائي بلا زواج حتى جاءت شوربيه فقالت لعلكم تتهمونني أنا بأنني السبب كما يفعل كثيرون ولكني بريئة وهو المسئول والسبب.

حلم ٢٤٣

رأيتني في كازينو اسبورتنج أطل على البلاج وأرى في أول الكبينة الحبيبة تلعب مع زميلات لها في فساتين خفيفة ثم تكبر عند أحواضه متشبهة بالجارية التي خلعت جلبابها وألقت بنفسها بين الأمواج ومر بي عراف صديق وبسطت له راحة كف يدي فقرأ الخطوط وقال لي إنك تنتظر الآن إلى رفيقة العمر وقامت الحبيبة وصعدت إلى الكورنيش فهرعت إلى باب الكازينو وانطلقت إلى الكورنيش وأنا مصمم هذه المرة ولكني لم أهتد إليها في الزحام.

حلم ٢٤٤

وجدتني في محل فول وفلافل وطلبت للإفطار فول مدمس فجاءني النادل بطبق فيه قراقيش وبعد شيء سمعت ذلك فسألته عن الفول فقال إنه نظرًا للاستغناء عن الأسعار فقد جعلنا الخبز طلبا والزيت طلبا والكمون طلبا والملح طلبا والزيت والمخللة طلبا والكل طلب ثمنه فأدركت معنى الجوع.

حلم ٢٤٥

وجدتني أسير في شارع يبدو من كلاسيكيته وأشجاره كالكورنيش بالإسكندرية ورأيت رجلا يخرج من أحد المطاعم مفرطا في السمنة درجة لم أشهد مثلها في حياتي وتوقف الرجل فانحط على الأرض ولم يستطع حركة فأقبل عليه أصدقاء الشهامة يساعدونه على القيام دون جدوى وسألت أحد الواقفين عن هوية الرجل فقال لي إنه الفقر.

حلم ٢٤٦

أخيرا وجدتني خاطبا للحبيبة ب واتفقنا على يوم لعقد القران ولكني أصبت بانفلونزا قوية طلبت تأجيل الميعاد وإذا بهم يفسخون العهد ويعلنون خطبتها لعريس جديد ووجدتني وحيدا مع حزن وغضب.

حلم ٢٤٧

أقبل العيد الأكبر فاشتريت خروفا وأطلقته في الحديقة وواليته
بالتغذية والتنظيف ولما جاءت الساعة ووقف الجزار فوق رأس
الخروف رأيت وجهه وقد حل به صورة فتاة مليحة مستسلمة فكرهت
أكل اللحوم.

حلم ٢٤٨

رأيتني مع صحبة في صحراء الهرم في ليلة قمرية ومعنا بعض
الأطعمة الجافة والمياه الغازية. وإذا بنا نرى شبحا قادما
من الجنوب حتى اقترب فرأينا فيه هيكل عظمي فجلس بيننا
دون استئذان وأخذ أجزاء وسار به إلى مدخل الهرم
ولم نعترضه وقلنا لنهبط الطريق المؤدي للمدينة التي
تبدت في صفحة مصابيح مضيئة ونشوة تنبعث من
جوانبها موسيقى وأغاني.

حلم ٢٤٩

رأيتني في الإسكندرية في زمن تعلقي وقررت أن ألقى يوما بعد
انتهاء الموسم في الأماكن التي الفتيات السابحات والمصيفين
والرقص وسلاحف والأطعمة والمشروبات لم يبق إلا الفناء
والوحشة وزئير الرياح ضد صخرات الأمواج وأقبلت موجة
عالية فشربت بيد البرج وتطاير شررها فعبر الكورنيش
فجريت إلى الداخل والهواء يتحداني.

حلم ٣٥٠

رأيتني أجري بيدي إلى المهلك ويغريني الشباب ويخوفني من المجهول ولكني بعد التردد وجدت لطفا من الستر والغيب فشكرته وصليت وتمنيت أن يمد الله من روحي فيطهر من الماء النقي الصافي ويمنحنا له عزة المرسلين لمن الحياة نديّة

حلم ٣٥١

رأيتني أعيد تفتيشها حالما ومسرعان ما قام صراع بين قلبي وعقلي فقلبي يدعوني للرحمة وعقلي يدعوني للواجب وقد انتصر القلب مع الرحمة ولكني فشلت لتفتيش مالي.

حلم ٣٥٢

فجأة اخترق الزلزال قلبي ورجف حلقي وكانت ثواني كأنها أعوام ولكن الله سبحانه كتب لنا السلامة واختلفت الطوائف فقال المسلمون إن الله أكرم الخلق إكراما له وقال المسيحيون أن السلامة كانت صدفة له وقال اليهود إنهم أحباب الله منذ القدم واشتعل الجدل واحتدم وكادت الفتنة أن تشتعل

حلم ٣٥٣

وجدتني في جمعية الفتاة الحديثة لألقي عنها تقريرا ولفتت نظري اسم مديرة الجمعية في ١٠ وتأكد لي لما رأيتها ورجعت في الزمن إلى حبيبة كنت دون السادسة وكانت المديرة في الثلاثين ولم تكد تكف عن مداعبتي ولم أكد أكف عن حبها وزيارتها بدرب قرمز فابتسمت للذكريات مع شقيقتها وراحت تسألني عن أيامي وأحوالي وزميلي في الحارة وتذكرنا كما تتذكر الأيام الحلوة عمر إلا إلى ما حدث تماما. ولكن قلبي أنعم بالسعادة

حلم ٣٥٤

رأيتني أقابل مصطفى النحاس بوصفه رئيس الوزارة الجديدة لأسأله عن برنامجه فقال لي إن أولى مهامه السعي للمفاوضات وثمة مشروعات قوانين تقدم للبرلمان عن استقلال القضاء ومشكلة الفلاح ومجانية التعليم والنهوض بالصعيد الذي طال إهماله.

حلم ٣٥٥

وجدتني في حشد مكون من ملايين شخص من نسخ مكررة فسحنتهم عميقة وملامحهم قصيرة وبدينة كأنهم براميل وقسمات وجوههم غليظة وإذا بالجيش يتقدم تتقدمه فرقة موسيقية تعزف لحنا يبعث في النفوس الرهبة والخوف فتساءلت ترى أهي مناسبة تاريخية أم جنازة قومية.

حلم ٣٥٦

وجدتني في مكان غريب ولكنه يلوح كأنه موضع في حديقة وإذا بها
تقف أمامي مبتسمة وتقول بصوت ناعم أخيرا التقينا فأنعم
بسعادة وشجاعة وقلت لها غدا سنتقابل والدك وإذا بي
أجد نفسي وحيدا حزينا وقد استردت ذاكرتي ويتقدم أمامي
سور من الورد منها في الناحية الأخرى ولم تكن وحيدة ولم تكن
حزينة .

حلم ٣٥٧

رأيتني وأنا أصحب صاحبي ونتحدث عن سيدة مديرة المنطقة التعليمية
كي تنقل ابنتي إلى مدرسة قريبة من البيت وهي تعرف بترفعها على الرغم من
علمه بنفورها من الواسطة وكان أن حدثت المعجزة وأمرت بنقل
بنتي إلى المدرسة القريبة فطلبت المقابلة للشكر وهناك في حجرتها
وجدت امرأة على ذلك الوقار يجمل الجمال القديم وقالت لي لا داعية
للشكر فإنما نحن نفعل ما نفعل بوازع الشعور بالواجب وقد حيرني قولها
وما زال يحيرني كلما ذكرته .

حلم ٣٥٨

وجدتني في حفلة لأم كلثوم بصحبة الشيخ زكريا أحمد وقد بلغ الطرب
منتهاه بينما غنت وتميل عليه وتقول له لما وليتني . وعند
انتهاء الحفلة خرجت مع الشيخ زكريا نسير في شوارع القاهرة الفاطمية
ونميل عليه ونقول له حتى وصلنا إلى حارة بيت القاضي
حيث كان ينتظرنا طاجن كفتة وصينية بسبوسة .

حلم ٣٥٩

وجدتني جندياً متطوعاً في جيش الدفاع نقضي الليل في أطراف المدينة وعند الفجر نصلي ثم نستمع إلى حديث العدو وهو يصلنا عبر الأثير فيتهمنا بالكفر ويتوعدنا بالويل.

حلم ٣٦٠

رأيتني تلميذاً في سنة أولى ابتدائي واقترب مني المدرس وهو يلوح بالعصا وسألني عن معنى كلمة فإذا بي أجيب الإجابة الصحيحة فذهل الرجل وأبعد عني العصا وسألني عن معنى كلمة أخرى فأجبت الإجابة الصحيحة فقال لي ماذا تريد فقلت لم أعد أحتمل ضرب العصا والإهانات فقال لي برافو عليك وتطلع إلى الفصل وطلب من التلامذة أن يصفقوا لي فدوى الفصل بالتصفيق.

حلم ٣٦١

رأيتني في السيارة في مشوار مع أمي وأختي في ثياب العروس ونحن متوجهون إلى بيتها الجديد وهناك استقبلنا أهل زوجها وهو معهم وسار بنا إلى الدار حيث ينتظر المأذون ولما علم خالي بذلك غضب وقال كيف يراها عريسها وسيدها قبل أن يعقد الكتاب؟ ولما يئست من عودتها إلى بيتنا قلت لي إني رأيتهما معاً يلعبان الكتشينة ويطلب خدها ويقبلها وتدفقت أم [illegible] ثورة [illegible] إلى بيتك [illegible] ويقول لي إنك لا تستطيعين منعهما فهذا طيب وحلال.

حلم ٣٦٢

رأيتني في أول عهدي بالوظيفة ولي رغبة في الزواج وعملت بعد الظهر في مكتب صديق حميم لأضاعف مرتبي وإذا بزميل يقترب لي أنه كشف عملي الثاني فسألته ماذا تريد فقال [illegible] والوظائف وشاورت أهلي فأجمعوا على وجوب أن أتخلى عن عملي الإضافي وكانوا يتصورون تأجيل زواجي.

حلم ٣٦٣

رأيتني راجعا ليلا إلى مسكني وهناك اكتشفت أن يدا عبثت بمحتويات المسكن فأخبرت القسم وبعد أيام قال لي الضابط أنه تحوم الشبهات حول الناقد الكبير ع فذهلت وقلت له إنه شخصية مرموقة وحدثته عن الفني والأدبي ويرجى أعماله الخالدة فقال لي نحن لا نأخذ بما يقال ولكن بما تنطق به الحوادث.

حلم ٣٦٤

رأيتني في ميدان محطة الرمل وإذا بي وجها لوجه مع السيدة خ فتصافحنا وقالت لي ألا تزورني كالزمان الأول فقلت لها لقد تغير الزمان فقالت ساخرة الزمان لا يتغير ولكن الإنسان لا يثبت على حال

حلم ٢٦٥

رأيتني في استديو مصر مخرجا وجاءت فتاة قريبتنا وقالت لأمي يا تيزة لقد اخترت لي زوجا خصيبا ثم جاء الزوج وهو قريبنا أيضا وقال لأبي يا أستاذ إبراهيم لقد اخترت لي زوجة متوحشة ومثلما انفردت بأمي قلت لها يا أستاذ إبراهيم لقد اخترت لي زوجة متوحشة فضحكت وفرجت قليلا من كربها.

حلم ٢٦٦

هؤلاء زعماء مصر وهم بالترتيب عمر مكرم ومحمد علي وأحمد عرابي ومصطفى كامل ومحمد فريد وسعد زغلول ومصطفى النحاس ومكرم عبيد ومحمد نجيب وجمال عبد الناصر وأنور السادات وأنا أقوم بالخدمة فأقدم القهوة والشاي والماء وأنتظر ضيفا والجو غاية في الهدوء حتى لا تكون له همهمة وأنغام.

حلم ٢٦٧

رأيتني في حرم الحسين وكانت أشياؤها تشم البخور والعطور وثمة امرأة جميلة تغني لا دوام لشيء إلا الله من أسرار كل موسيقى الوجود ورشيقة فتدور أنظارها جميع الأحباب.

حلم ٢٦٨

وجدتني أعمل مسحراتي فأدق الطبلة وأمر بالبيوت وأنادي سكانها للاستيقاظ والاجتهاد لعلهم يتجمعون ويجبرون بخاطري.

حلم ٣٦٩

رأيتني عندما كانت المدينة تتحول إلى ملهى فاكتظت الشوارع والميادين بالنساء والرجال وصدور تصدح وفي الجنبات تعزف الموسيقى الشرقية والغربية وانتشرت المطاعم والمشارب أما أسرتي فكانت بين قريبة من النساء والجميلات وقد عملت سكرتيرا لمنتصر وتفننت في الأشكال والألوان والأنغام.

حلم ٣٧٠

رأيتني أزور بيت جدتي وأراها بمجلسها بين الزهر والبشر فرحبت كل الترحيب وقالت لي: تقبل رجائي أن تدبر سبيل نجاة المساجين منهم.

حلم ٣٧١

رأيتني في غابة التيه الشوكي لأقرأ ألف ليلة وليلة بعيدا عما أعاني وفتحت الكتاب فإذا ثعبان ضخم يزحف نحوي فهربت إلى قبيلا مستبرقع واختفيت في حديقتي.

حلم ٣٧٢

رأيتني أساوم رجلا لشراء سيارته واتفقنا على كل شيء ولما جاء وقت التنفيذ صحوت من نومة النسيان التي تتجاهلني فتذكرت أنني لا أعرف القيادة ولا حاجة لي في اقتناء سيارة.

حلم ٢٧٣

وجدتني في نافذة بيت العباسية أطل على غابة التين الشوكي وإذا برجل حافي القدمين يدخل الغابة تتبعه فتاة يبدو أنها بائعة يانصيب فتابعتهما بدهشة وانفعال حتى ندت عني صيحة قوية فانقطع الاشتباك واختفى الغائبان.

حلم ٢٧٤

رأيتني أسأل أستاذي عميد الثقافة فقال إن الثقافة لا حصر لها سواء في التاريخ أو الجغرافيا ولكل شخص منها على قدر طاقته.

حلم ٢٧٥

رأيتني أتلقى دعوة لمشاهدة منزل المرحوم محمود بك تيمور وهناك رأيت العديد من الأصدقاء الأحياء منهم والأموات وارتبكت لأنني لا أستعمل إلا يدي اليسرى وتكلمت المذيعة عن مخطوطة لما لدي فقدمت لي طبقا حافلا بما لذ وطاب ثم غنى صوت عذب وحقق أمنية المنى والطلب.

حلم ٢٧٦

رأيتني أهنئ صديقي السالم باختياره رئيسا للمؤسسة العليا ورحت أحدثه عن تجربتي القديمة في المؤسسة ونصحته بالاهتمام بالوقت ليعمل كل يوم من الساعة الثامنة صباحا فقال لي: إنه يسكن الآن في مستعمرة بكوكب القمر ولا يستطيع أن يصل إلى المؤسسة صباحا قبل الظهر.

حلم ٣٧٧

رأيتني أستقبل المرحوم الأديب [illegible] فعاتبني لأنني لم أسأل عنه طوال غيبته فاعتذرت بسوء صحتي وسألته عما فعل في تلك الغيبة الطويلة فقال إنه كتب عشر قصص قصيرة من أجمل قصص في الأدب العربي ورواية طويلة لا أشك في أنها أعظم رواية عربية ثم طلب مني أن أنادي باسمه صدقي كما كنا نفعل قديما تحببا له والذي يعيش يشوف العجب.. عشنا وشوفنا كثير

حلم ٢٧٨

وجدتني مع إخوتي مكان أرض الزكيبة يحدثني عن مستقبل قراني فقلت له ما هذا الحزن العميق الذي يستحوذ على أمنا فقالت أختي الكبرى إنه بانتقالك إلى بيت الزوجية تصير وحيدة في العالم فقلت يمكنكم أن تقيم مع أي منا فقالت أمنا غريبة الأطوار ولا تقبل هذا الحل أبداً.

حلم ٢٧٩

وجدتني في الديزل المنطلق من الإسكندرية إلى القاهرة وقبيل الختام دهمتنا هزة فظيعة توقعت بعدها انفجاراً أو انشقاق إحدى العربات ولكن القطار توقف ونزلنا والليل يزحف وصدمنا إذ علمنا أن القطار صدم سيارة نقل كبيرة تعثرت وهي تعبر المزلقان وتركتنا كآبة ولم نكف عن التساؤل.

حلم ٢٨٠

رأيت أنني في ذكرى من أزمان الصوفية أذهب مع زوجتي وكان المنشد الأستاذ العقاد حتى تبعنا قصائد الذهب بين ما قدر عليه تأخر قليلاً ونفتقده ولما ساد الصمت نادى الأستاذ العقاد بصوت جهوري يا أهل مصر هنيئاً لكم الحسين.

حلم ٣٨١

رأيتني أشاهد التغيرات الكبيرة التي حدثت في منطقتنا نتيجة لشراء شركة كبيرة لبعض الحقول حول مساكننا فقد رأيت مبانيها [illegible] انتاج للاستقطاب بدل وقف تحت الماضي وتوحدت [illegible] منظمة ورأيت أناس الشركة في تقاليدنا ولباسنا من بعض المدارس الدولية وحتى المساجد وتمنح زي كل من [illegible] لها [illegible] الشهادة.

حلم ٣٨٢

رأيتني مع خطيبتي نشاهد المساكن ومحال الأثاث ثم تناولنا الطعام لدى كبابجي مشهور وشعرت ذلك اليوم بسعادة لم أشعر بمثلها أبداً.

حلم ٣٨٢

رأيتني أمشي مع صديقي ورفيقي ابن [illegible] لزيارة الشيخ الفلكي ولعب الأسئلة المعتادة عن حساباته فقال لي تعيش وحيداً وتموت وحيداً فقلت له ولكني لست وحيداً فقال أنا أعني حسابية [illegible] الواقع.

حلم ٢٨٤

وجدتني في حديقة الأورمان مع نخبة من طلبة وطالبات الدكتور طه حسين وسرعان ما حضر الدكتور وراح يعلمنا أصول الغناء الشرقي والغربي وجعل يغني ونحن نغني وراءه وجاء السميعة من العرب ومن الأجانب ثم جاء (الإعلام) من الصحافة والإذاعة والتليفزيون وأجمعت فرقة طه الغنائية أعظم الفرق.

حلم ٢٨٥

وجدتني مع أستاذي ووزيري الشيخ مصطفى عبد الرازق في وزارة الأوقاف كان حديثنا يدور حول المستخدمين في إيجاد وظيفة لي فاقترح أن أكون سكرتير المطبعة فأحسست بالتردد فسأل الوزير عمن يشغل الوظيفة الآن فأجاب بأنه الأستاذ الأديب ... وكنت أنا من قرائه فالمفروض ... قبول الوظيفة فوافقني أستاذي واحترم الأديب ... وأكرمه بتركه في وظيفته وخلق وظيفة سكرتير برلماني لي وتأكد لي ... في الميزانية الجديدة أستاذنا ... نبيل ...

حلم ٣٨٦

وجدتني ضابطاً احتياطياً في الفرقة الملحقة بحماية الجسور
وأذكر أن السلاح الأول لمنع اشتداد الحرب ومهاجمتنا لطائرات العدو
وأخذت تزلزل الأرض بصواريخ لقنابلها وإشارة تحرك المدفع أحده
طائرات العدو فأطلقت مدفع في الطائرة أسقط واحداً تحمله
من الصهيونية بالإشارات فاعتقلناه وتبين لنا أنه الذي كان
أستاذنا في اللغة الإنجليزية وقال لنا فاكرناه وقال
يحدثنا عن الحروب في الآداب المختلفة وكيف أنها
تحل مشكلات ولكنها تزيدها تعقيداً وختم كلامه بقوله
العدل هو الحل.

حلم ٣٨٧

وجدتني مع بعض الحرافيش في مسكن المرحوم الشاعر صن ومعه الفنانة
المرموقة س فتصافحنا بحرارة وسألته هل أنت تؤلف لها دراما شعرية
تعالى أن الذي يجمعني بها الآن الانتماء الذي اكتسبناه صحبتنا بالحياة
ثم خرجنا نتمشى حتى الهزيع الأخير من الليل وغادرنا المسكن أما الشاعر والفنانة
فسارا في الشارع الطويل الخالي واختفيا في الناحية المقابلة والخوف يملأ جوانحنا.

حلم ٣٨٨

وجدتني وبعض الحرافيش في مقهى الفيشاوي وإذا بالمرحوم المعلم فهمي يقبل
علينا ويدعونا للعشاء في بيته فمضينا معه إلى بيته في حي الحسين القديم فصعدنا إلى السطح
وجلسنا في ركن تطل مرآه على الدجاج والأرانب وجادوا بصينية كبيرة مليئة بالرز
واللحمة المفروكة فأكلنا بشهية وركضنا تحت النجوم الساهرة ومئذنة مسجد الحسين
رضي الله عنه تطل علينا حتى صدح منها الصوت الرخيم يؤذن للفجر.

حلم ٣٨٩

وجدتني في محل بيع أقمشة البدل بميدان الأوبرا وصاحب المحل الذي أتردد عليه في المناسبات فشعرت بالملاحظة وقال لي صاحبه أنه سيجري جراحة في غاية الخطورة فتمنيت له السلامة ويبدو أنه لمس في صوتي الصدق فأجهش في البكاء وغادرت المحل والدمع في عيني

حلم ٣٩٠

رأيت صديقتي ع وهي تجمع التبرعات لبناء مستشفى للفقراء وبيده بنت في السابعة آية في الجمال فتبرعت له وتبرع أصدقائي وفجأة اختفى تاركا الصغيرة فأدركنا أنها عملية نصب وأراد كل واحد منا أن يستحوذ على الصغيرة ودفعنا للتراضي أخذها كل واحد سنة نربيها حتى تبلغ سن الرشد وكتبنا بذلك بتصريح صاحب الخط الجميل.

حلم ٣٩١

رأيتني جنديا في الجيش بقيادة الشيخ مصطفى عبد الرازق وقد طرح للمناقشة مشروع سلام في الشرق الأوسط يقوم على العدل الكامل.

حلم ٣٩٢

وجدتني فجأة في خريف العمر وما أزال من ذوي الدخل المحدود وحولي بيوت جديدة كما عهد المتكلم وبشيء من التفكير السليم أكون سبب بيعها فيما أكد أنني وحيدا نادما على ما فاتني من فرص وأسفا على المباري المنفرجة التي أهملتها

حلم ٣٩٣

رأيتني في قارب أجدف وإذا عاصفة تثير تشوه النيل فابتعدت عنها ما استطعت ولكنها ارتفعت إلى درجة عالية فاختل توازن القارب وأوشكت على الغرق ولكن أقبلت نحوي فتاة أجنبية كانت تعبر النهر وصعدت إلى القارب وسرعان ما استعاد توازنه وسارت إلى أقرب موقع من الشاطئ. تركت القارب وأنا أشكرها من كل قلبي ووجدتني في شقة صديق فحدثته بما [غير مقروء] من رجل يعرف الله من المخاطر فقال لي أنت في رعاية السيدة رضي الله عنها.

حلم ٣٩٤

وجدتني صاحب دكان صغير لبيع البسبوسة في موسم الفرح [غير مقروء] أنتظر زبائني آخر الليل من صحبة الليالي وزبائني القراء بالشريعة ويحبونني [غير مقروء] لرهبة للحلو فيلتهمون البسبوسة نظير قروش وصلوا بها من السجائر المحمرة وأنتظرهم بترحيب وبعد السكون فيجيء الفقير هارب الليل فيقدم السجائر لها ويدعوني إلى الغناء فأغني تلطف بلد المحبوب [غير مقروء].

حلم ٣٩٥

وجدتني في حفل تكريم رموز الثقافة والعلم ووقف الرئيس وقدمت تحية [غير مقروء] فغنيت عن أي شعيرة الحاضر [غير مقروء] عما نبع من تسامح واستنارة.

حلم ٣٩٦

سمعت همزات أشباح الغيب تقول إنهم في العالم الآخر بدأوا يشعرون بأن حركة إلى عالمنا مستطلعا فوجد السبب في الغبار المستفحل فسألته وماذا ستفعل فقال نحن نبدأ بالرحلات والتوريثة وإذا لم يجد ذلك طورنا أفكارهم إلى وسائل أخرى.

حلم ٣٩٧

رأيتني واقفا أمام البيت القديم متأملا ومستمتعا بالمبنى الساكن الجديد وصوت المغني الشجي ؟ وجلسنا في حجرة الجلوس ورحب بي فهو صديق لوالدي كما أنه حضر صداقة لأخي ثم قال لي: إنه سيحيي الليلة للفنانين في فرح ولابد من بعض التمرينات وتناول العود وطفق بالأوتار وغنى بصوت عذب:

يا منت وحشني فأطربت وأنا في نشوة الوجد

وروحي فيك.

حلم ٣٩٨

وجدتني صبيا واقفا أمام حارة بيت القاضي أنتظر حتى خرج رجل أبيض البشرة منتفخ بنوله حمراء ويحمل وعاء أسطوانيا فنطس بنطال أحمر وينادي كلمات دندرما فهرعت إليه وأعطيته مليما وقدمت له طبقا فوضع فيه قطعة من الدندرما وبعد ما التهمت الدندرما بنشوة ثم انتزع صحبة بياع الكسكسي.

حلم ٣٩٩

رأيتني واقفا أمام حديقة غير صغيرة أستمع إلى الصوت الجميل الذي يغني :

رق الحبيب

وإذا بحبيبتي تبدو عند مدخل الشارع وهي تقول لي لا تؤاخذني على جرأتي فما دفعني إليها إلا علمي بأنك ما تزال تحبني بالرغم من مرور الأعوام .

حلم ٤٠٠

رأيتني تلميذا بمدرسة خان جعفر الأولية والمدرس يشرح الدرس وأنا مستغرق في تأمل صورة الكتاب ويقبل علي مغتاظا على بالمسطرة ويقول اسمع نصيحتي وتعلم حرفة فأنت لا مستقبل لك في التعليم .

حلم ٤٠١

رأيتني في فرح أحد أقربائي ونصبوا الصينية بأطعمة عشاء وجلسنا حول المائدة وكلما جاءونا بلحم أتخمونا عليه وهكذا حتى فرغ العشاء دون أن أذوق منه شيئا وذهبت إلى أمي وحكيت لها ما حصل فقامت وجاءتني بطبق فيه سندوتش من الجبنة وبعض الحلوى .

حلم ٤٠٥

رأيتني راغبا في التغيير وكلفت أختي الكبرى بأن تختار لي عروسا من الجيران وفي الوقت نفسه ذهبت إلى قبر أمي لعلها تبارك زواجي وباركته بصوت عال وجعلت شرط ألا أخضع لمطالب أهل العروس عندما يختلفون وقد اختلفت حول المهر والمسكن وفي انتظار زوج تقدم لهم شاب بلا عقبات فقبلوه وتذكرت النشيد

يا قليل المال بس فضلك عال .. في زمن الأنذال

حلم ٤٠٦

رأيتني في البيت القديم وصار على حال يرثى لها فرسمت خطة لبعثه في الحياة من جديد وشاورت بعض الأصدقاء فأشاروا علي ببيعه وشراء شقة عصرية ولكنني صممت على خطتي وهي تقوم على ترميم الجدران وتجديد الأثاث والمصابيح على أحدث الأساليب العصرية وانتظرت لتسلم تحفة معمارية وأنا أغني

يا بيت العز يا بيتنا

حلم ٤٠٧

رأيتني في حديقة الجيران كهلاً يتذكر الزواج الذي اشتهيته ليتزوج ولكنه خاب وها هو يقف وحيداً أمام الزمن ويتذكر أغنيته المفضلة

أراك عصي الدمع شيمتك الصبر.

حلم ٤٠٨

رأيتني العانس الوحيدة من أهلي بعد زواج أخوتي وأخواتي وشاهدت بيعك للبيت القديم وتجمع لك بعض جنيهات من بيعه وراحت تقدم الهدايا لأخوتي وأخواتي وعلى خلاف المتوقع لم تقدم إليّ هدية بأي سبب لسلوكها وازددت كرباً على كرب.

حلم ٤٠٩

رأيتني وحدي أخيراً مع أحفاد إخوتي يتشاورون فيما يصيبهم من الوراثات التقسيم ولما أعلمتهم أنهم لن يتركوا لي فرصة زواجي هذا أو بعد غد وسيجيئك الوارث بكل ما يرضيك.

حلم ٤١٠

وجدتني مع أخوتي نتشاجر مع الشيخ بترجمه فسبقوني إلى الحريم وصعدت إلى مجرى لذتي زينتي فزلقت تحت الرماش لعلها مطوقا للرتيل لأهربه فناديت أخوتي فلم أستطع إلا الصوت الثقيل فقلت أتشفع مع الملائكة فاتركه يذهب بهدوء ولم يمسني بسوء ولكنه استمر بتهديده فعلمت أنه لا نائم .

حلم ٤١١

رأيتني مع بعض أقرباء معبودتي ثم التقيت الليلا المعبودة وحدثتنا عن سهرة أمس مع النسوة لشاهق المغندرة تحمل وتناد منها المهربة فقلت لا إذا كنت كبعضهم صرت منهم فلابد من مساح أسرك روحي وكهذا غازلتها وأنا لا أدري .

حلم ٤١٢

رأيتني تحت الشجرة أتأمل نوافذ الشباك المغلقة لبيت عشق النوسة إلى رأس البحر وسألت نفسي كيف سأكون هناك في غيابها حتى إذا كانت صاحبة الحياة في نظري تركتها وجئتها مع صدري حتى صرت عصفورة تقفز من غصن إلى غصن فوره المحبوبة من مصيفها .

حلم ٢١٣

رأيتني في أعقاب صلاة المغرب أناشد العزيز الرحيم أن يشفيني من مرض الحب فسمعت صوتا يقول لي وهل تحتمل الحياة بغير مرض الحب.

حلم ٢١٧

وجدتني في احتفال عظيم ويتقدم مصطفى النحاس رئيس الوزراء من الملك ويتهمه بالفساد في سياسته وأخلاقه ويسمع ذلك جميع السكان ويصيح رئيس الديوان متهما الزعيم بالخيانة العظمى وتقع اضطرابات ثم ينطوي نظام ويحل نظام جديد.

حلم ٢١٨

رأيتني أنتقل من القاهرة إلى بلدة ريفية فأقيم بها حتى يدلني دليل على فندق حديث يملكه ويديره رجل يوناني واستأجرت حجرة كاملة الخدمات وتتصل بها استراحة بها تليفزيون ومكتبة ومكتب ورتبي لم يكفني لتغطية حياتي حتى إني لم أذق اللحوم إلا يوما واحدا في الأسبوع ولكني فضلت التقشف مع الحياة الجميلة في الفندق.

حلم ٢١٩

رأيتني أدخل بيت صديقي ع حين لاحظ أنني متغير فأجهشت في البكاء وأقول له إن صديقتي ف ماتت فجأة ولكم تمنيت أن تتزوج مني ثم تتوب فكيف كان علي أن أحرمها من الحب والحياة الشريفة في ظل التوبة

حلم ٤٢٠

وجدتني في الإسكندرية لقضاء بضعة أيام من الخريف بجوها الجميل وزرت الصديقة القديمة وهنالك رأيت كريمتها الزميلة تجالس رجلا أثار منظره نفوري وإذا بي أجدني في قفص الاتهام تنهال علي الأسئلة عن الأسباب التي دفعتني إلى القتل ولا أجد من جواب إلا أنني ما جئت إلى الإسكندرية إلا لقضاء بضعة أيام من الخريف في جوها الجميل.

حلم ٤٢١

رأيتني مشتركا في سباق الدراجات في مصر العليا وأحرز تفوقا فيدعوني الزعيم إلى مقابلته ويهديني مكافأة لي الرغيف الصعيدي وصديق يقول: إن من يتناول لقمة من هذا الرغيف يدل على إخلاصه لي مدى الحياة.

حلم ٤٢٢

رأيتني أتعلم السباحة على يد خبير وأسبح بعد ذلك في مياه الشاطئ مع صديقي ثم نتجاوز الصخر ونغطس معا حتى نجد البيت ذا الجدران الوردية وأعلن عن رغبتي في الدخول فيقول لي صديقي: لا صعوبة في الدخول ولكن الخروج منه مستحيل فأقول له: إن أمنية القلب في الداخل فلا يهمني الخروج فيقول لي: وإذا لم تجد في الداخل أمنية القلب واستحال الخروج ولكني دخلت مطمئن القلب.

حلم ٤٢٣

رأيتني أسبح في مياه الشاطئ وحدي خشيتني من البعد رأيت أمي وأخواتي ومعبودتي وحبيبتي يسبحن فسبحت نحوهن ولكن طالت المسافة بيني وبينهن كما هي أو ازدادت اتساعاً حتى سمعت صوت أمي يحذرني من الغرق فتوقفت عن السباحة ورأيت الأحباب يختفين في الأفق.

حلم ٤٢٤

رأيتني جالساً في شرفة الفندق المطلة على البحر أتذكر أحداث يومي بدءاً من وجودي في مجلس الحكيم وأصحابه من رجالات العهد البائد ثم من وجودي في حديقة سان استيفانو مع الأدباء السكندرية حتى ذكرتهم المرحوم يوسف عز الدين عيسى والمحامي نعيم تكلا ماسانتج محمود الجمل وسعيد سالم وعبد الله الركيبي ثم وجدتني في المقهى التي يديرها قريب الزعيم وهو يؤكد الوفديون عقب أن جاء عليهم الزمن وانتظرنا حتى رأينا سيارة الزعيم مصطفى النحاس وهو يحتفي وأطلق بيدان هرم عليه ارتباطه بالشعب وها أنا جالس في الشرفة المطلة على البحر وتمر بي أحداث تبعث في السرور الشامل وأخرى تدفع إلى الحزن والدموع.

حلم ٤٢٥

رأيتني مع الحرافيش في دار استديو لشاهد الباليه المصري الحديث المستمد من التراث الشعبي والفن الأوروبي وقد نجحت التجربة ولكني لفت نظري راقصة تحمل سمات من معبودتي فما هممت بها حتى علمت من أصحابي أن ثمت بديلاً لشخص جديد.

حلم ٤٢٦

رأيتني من المقربين من حاكم الجنوب في مصر وكان حديثه يدور حول الجماعات المتناحرة على شاطئ النيل وربما قال لي أن النيل جاءه في المنام وقال له: إنه يعهد إليه بتوحيد الجماعات المتناحرة في جماعة واحدة متعاونة وأن يكون ملكاً عليها ليقوم بتوزيع المياه بينها بالعدل.

حلم ٤٢٧

أراني استيقظت فزعاً على رنين الجرس وصلت إلى باب الشقة فوجدت أن الصمت يسوده من جميع النواحي فرجعت إلى المجلس الذي عنده سرقني النوم من السعادة المنتظرة.

حلم ٤٢٨

رأيتني أجد المحبوبة ب تحت شجرة جميز فقلت لها أني كثيراً ما أراها في أحلام اليقظة والنوم فماذا فرق بيننا فقالت لي: تذكر ما حدث في شارع المغربلين فقد تبعتني خطوة بخطوة حتى تمنيت أن ترمي لي بكلمة فاستجيب لك فوراً ولما طال انتظاري تصورت أن أتغلب على خجلي وأنظر خلفي نحوك ولكنك أرضيت جبنك فتولد في اليأس من ناحيتك فقلت ما للخسارة فإن السعادة سعت إلي حتى كانت في متناول يدي بعد [illegible]

حلم ٤٢٩

رأيتني في حقل بين ضفاف وكل موضع فيه يموج بالإناث والذكور في أجمل زينة وأتم سرور، فرحت أبحث عن المنى والطلب ولكني لم أعثر عليها فغنيت :

وذو الشوق وإن تعزى
مشوق حين يلقى العاشقينا

حلم ٤٣٠

رأيتني أصافح الصديق ع. و بعد خصومة سياسية واحتفالا بالصلح دعاني إلى قصره وهناك جلسنا في الحديقة وراح يسمعني آخر إنتاجه الشعري ثم جاءنا السفرجي بالعشاء المكون من الفول المدمس والطعمية وقال لي : أنا أعلم أن هذا هو عشاؤك المفضل فقلت له : إذا اشتقت إلى هذه الوجبة فابحث عنها في الأحياء الشعبية وخاصة حي الحسين رضي الله عنه .

حلم ٤٣١

رأيتني جالسا على شاطئ البحيرة الساحرة التي يعكس سطحها الماسي القبة السماوية بكل جلالها وجمالها وإذا بوجه معبودتي يتجلى ويختفي في مثل سرعة البرق فانتظرت أن يتجلى ثانية دون جدوى فرحت أناجيه :

وصوتك عندي كالغناء لأنه
حسن لدي ثقيله وخفيفه

حلم ٤٣٢

وجدتني في سكرتارية حاكم المدينة زميل صباي أطلب مقابلته فانتظرت استقبالا حارا مفعما بالذكريات ولكنه استقبلني بفتور هو أقرب إلى الصفعة فقلت: لعلي ذكرته بأيام فقره وصعلكته وفساده وقال لي: إذا كان عندك شكوى فاكتبها واتركها مع السكرتير فغادرت حجرته وقد انعقد عزمي على ألا أراه ثانية وإذا أحتكم إلى القضاء وفي أثناء ذلك وقعت محاولة لاغتياله وصرعه داخل قصره.

حلم ٤٣٣

رأيتني في اليوم الذي تزوج فيه سلطاننا الخامس والشعب أراد مشاركته في فرحته فعلقت الزينات على أبواب الحوانيت والمقاهي وغنى من غنى ورقص من رقص وعند منتصف الليل وصل الزعيم ومعه كبار المرشحين ليشكرهم فانبرى من بينهم الموسيقار محمد عبد الوهاب وغنى بصوته الرخيم:

جفنه علم الغزل

حلم ٤٣٤

وجدتني وحيدا والشباب يفارقني وقد فعلت ذلك بإرادتي ووجدتني بين عناصر من الأحزاب الحرية المطلقة التي أتمتع بها وإن شابها أحيانا شيء من القلق وفي الثالثة توجد ترسيني في مرحلة تقدمت يتزوج منها بالاستقرار والطمأنينة ولما طال ترددي بين الخيارين كانت العصفورة قد فرت من القفص ولذلك شعرت بالخسارة البالغة وبأنني سأدفع ثمن ترددي حتى نهاية العمر.

٤٣٥

رأيتني أسبح في البحر متجهاً نحو الصخرة التي تجلت مثل تل في ضوء القمر وإذا بكمان يشدو في وسط الصخرة ويتطاير من فوقها ناس وجميلات ينتشرون في أنحاء الصخرة كاللآلئ وجعلته يغني كلنا :

البحر بيضحك ليه

٤٣٦

رأيتني سائق ترام في العباسية وأمام إحدى العمارات لمحت في النافذة محبوبتي فأوقفت الترام وانطلقت إلى مسكنها ولاحت لي وهي تلبس ثوب الزفاف وغادرنا المسكن وهي متأبطة ذراعي وإلى ترامي فإذا بأسطول الترامات كما وجدت في انتظاري مفتش المصلحة وضابط المباحث والطبيب النفسي فساقوني إلى التحقيق فذهبت معهم وعروسي متأبطة ذراعي .

٤٣٧

وجدتني أسير جوعان ووجدت محل كبابجي فدخلت وطلبت طبق كباب وتبعه النادل ووقف فقال لي أن أدفع مقدماً فغضبت ولكنه أصر وبدت شدة الجوع ودسست يدي في جيبي الداخلي لاستخراج المحفظة فلم أجدها وبحثت في كل الجيوب وصحت أنا سرقت فتركني الرجل وغادرت المحل وفي الخارج وجدت الشرطة تقبض على صاحب المحل ولما سألت علمت أنه متهم بذبح القطط والكلاب الضالة فحمدت أنني جوعان وأسرعت نحو بيتي .

حلم ٤٣٨

رأيتني مع بعض الأصدقاء نحتفل بأمر ما في بار صغير أنيق والنادل يملأ لنا الكؤوس وسرعان ما شعرت بالطرب يتجلى في قلبي والخفة تنتشر في صدري فأمسك [illegible] وتلك [illegible] بالشرفات [illegible] وإذا بالعبرة مع تجلي وسط منصة [illegible] وهو يتلو [illegible] [illegible] الحق [illegible] الشعر .

حلم ٤٣٩

رأيتني وأنا أحلم برحلة بالعالم الآخر في حديقة مع أمي وأبي [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

حلم ٤٤٠

رأيتني في ميدان بيت القاضي يوم الاحتفال بالمولد وجو الحفل يتهادى فوق الخيل ويصحب رجال كسوة الشريفة ويموج الميدان بالناس من جميع أنحاء [illegible] ويهتفون بجميع اللغات بالحرية والعدل وحقوق الإنسان ويطالبون بالسلام والحب

حلم ٤٤١

رأيتني أصافح صديقي بعد غياب أكثر من عامين فقال لي: إنه يشتغل في جنازة [illegible] باشا [illegible] الفردوس [illegible] اعتقلت [illegible] في السجن [illegible] إلى الفردوس [illegible]

حلم ٤٤٢

رأيتني أصافح زميلي المترجم في الوزارة فصلته من العمل لجنة التطهير عقب قيام الثورة فقال لي إنه تابع بعض أعضاء اللجنة وكانوا أفقر منه وهم الآن يركبون السيارات ويقطنون القصور

حلم ٤٤٣

رأيتني وأنا مدير شركة إنتاج سينمائي، وتجيء لمقابلتي والدة بطلة الفيلم الذي أعده للعرض وترددت إلى المرحوم فخرقه وهي تقول أن ابنتها تحب وتأبى [illegible] فتذكرت على الحال الذي عرفته به مدار الفيلم [illegible] والزوجة التي أعددتها لتلعب [illegible] مع الراقصة وطلبت من أمها أن أقابلها فقابلتني إنها لا تقبل [illegible] إلا الوطنية. وهذا من الحركة أطلبته منه [illegible] فيقول لي: [illegible]؟ إن الفن [illegible] إن [illegible] الثورة وهذا [illegible] مع العودة إلى [illegible] البيت فتضج [illegible] صرفت [illegible].

حلم ٤٤٤

وجدتني مع صديقي الحميم ع وهو يدعوني إلى الانضمام إلى جماعة سرية تعمل لحساب البلد فرفضت لدوري في الثورة وكنت أعتقد أن بعض رجالها [illegible] التغيير [illegible] للكل.

حلم ٤٤٥

وجدتني أستقبل في مكتبي السيدة فوز جارتنا القديمة في العباسية وهي تأمل في أن أجد عملاً لابنها الوحيد الذي بلغ العشرين وما زال أمياً حتى إنه لا يعرف كيف يكتب فوقعت في حيرة وسألتها هل تقبلين أن أجد له عملاً في خدمة أهل الحارة [illegible] فانتفضت غاضبة وصاحت في وجهي: [illegible] الحارة [illegible].

حلم ٤٤٦

وجدتني طفلاً ألعب فوق سطح بيتنا القديم في العباسية الغربية [illegible] القمر والنجوم والليل وإذا صوت الشعر [illegible] حتى تتردد في آفاق صباي وشبابي قائلاً: يا ليل يا عين [illegible] ويقول له الليل [illegible] السماء ونجوم الليل [illegible].

حلم ٤٤٧

رأيتني في شرفة البيت أحادث نفراً من أسرتي في الجديد وإذا بفتاة تقبل نحونا وتتابع الحديث فغمر وجدي شعور لم أعهده من قبل وكأنني ما رأيت من جميلات الجمالية والعباسية وهكذا استقر حب ع في أعماق روحي إلى الأبد.

حلم ٤٤٨

رأيتني أسير حائراً في شوارع وسط المدينة وثمة طوابير من الجنود تنتقل من شارع إلى آخر ثم انفرجت الطوابير تتقهقر وحل مكانها أشباح لمومس تتطاير ثيابها حتى تنعقد ظلمة تقطر عطراً يعبق المكان بجنس طيب.

حلم ٤٤٩

رأيتني في مدينة فنادق مكتظة بالنساء والرجال والأكل والشراب وإذا بصوت يهمس في أذني إن لم تستح فاصنع ما شئت.

حلم ٤٥٠

رأيتني في مكان خلاء وإذا برجل يسير متوكئاً على عكاز وصوت حوله صيحة تدعو للرشاد فأعرف فيه الزعيم أحمد عرابي وأسأله عما حل به فيقول إنه فعل المنفى الطويل وسوء الاستقبال الذي لقيته عند العودة للوطن فأقول له متأثراً إن الله لا يضيع أجر من أحسن عملا.

حلم ٤٥١

رأيتني أسير على شاطئ النيل في حديقة مزهرة وأرى غيد بعيدة مجردة من ع واقفة فهرولت إليها وأقول لها ضع فرصة للإنسان فضاحكتني وقد كان ذلك أمنية حبيبتي فتقول لي إنه في طريقي إلى العدم وتركتني فهتفت بخصوص إنني ما زلت في عز الشباب وانتبهت فلم أرها فأسفت تاركة إياي أتحسر وأسير منزعجا.

حلم ٤٥٢

وجدتني في مقهى الفيشاوي بصحبة الشيخ زكريا أحمد وصاحب المقهى المعلم فهمي يرحب بنا ويعزف الشيخ زكريا بأوتار العود ويغني آه يا سلام ... فاتصل المعلم فهمي والتقت حال ... وأكملت أنا إنت الجميل يصنع جميل وأفرح وأقول حتى تكمل في أثناء ذلك لم يتوقف المعلم فهمي عن خدمة الجلسة حتى غبنا في رحاب التيهان العجبي

حلم ٤٥٣

رأيتني في الإسكندرية بصحبة طويلة تناسق السيدة ... لترحب بي وحمرا تمثالتها فرحة بالسيارة ... تقصد وتغنيه:

- خفيف الروح بيتعاجب
برمش العين والحاجب

حلم ٤٥٤

رأيتني وسط مظاهرة ضخمة في ميدان عابدين ننتظر ظهور الوزارة الشعبية الجديدة وإذا بالوزارة تغادر السراي يتقدمها رئيسها الجليل وكلهم يرتدون الجلاليب والعباءات البلدية ورئيسهم يقول: أنتم طالما سمعتم الوعود المعسولة دون أن يتحقق شيء انظروا أولاً إلى ملابسنا فهي تشي بما سنفعل دون حاجة إلى كلام.

حلم ٤٥٥

رأيتني راجعا إلى بيتنا في العباسية وصاحبي أمين يخبرني أن الفنانة ف سألت عني بالتليفون فاتصلت بها ولم تبادلني التحية قالت لي: إنما تطلب مني كتابة قصة لتختلف عن الحب الذي فارق أصحابه فيما انتحروا بالعشق من بعده ولكن انتفع.

حلم ٤٥٦

رأيتني في حجرة مدير المدرسة وهو يهنئني بالترقية إلى وظيفة
في تفتيش الوزارة بالترقية فاختلطت الفرحة بالدهشة وقلت له:
إن الوجود استغنى عنك. وقال لي: إن الترقية بالأقدمية والأرزاق
والأعمار بيد الله. وتذكرت صاحبي ثم سلمت أمري لله ورفع الرجل يده
نفسه ونبهني بتقريري هذا فطلع المقال يردد اللحن البشري.

حلم ٤٥٧

وجدتني مع الأستاذة ع وقد نفد صبرها وقالت إنه تقدم بها السن وطال
انتظارها متوجعة أنه تمدد الصبر فليبق ولكني رفضت وانفصلنا متخاصمين
وهكذا انتهت العلاقة.

حلم ٤٥٨

وجدتني مع زملائي في المكتب في لقاء مع الوزير الجديد وقال لنا: أمام عشرات
المتقدمين في انتظارنا ليوزعهم على وظائف جديدة ويبدو يتحمس الوزير من
طموحه للمكتب وذهبت في اليوم التالي إلى الوزير ببيان الجنسية فعلمنا عهداً جديداً
وإذا بالمبنى نفسه يتحول إلى مقر جديد بسيط المظهر كلكنه

حلم ٤٥٩

رأيتني مع مجموعة من الأصدقاء نمشي على شاطئ فرحين متحدثين جميعاً
حتى بلغنا الميدان فتفرقنا وتبدلنا من خلفنا وإذا بجواري
يرتفع من الأرض شيء رويداً رويداً حتى استوى تمثالاً من البرونز
مع ارتفاع شاهق.

حلم ٤٦٠

رأيتني أسير في حقل من حبوب ودخ هواء شديد للثمار
تدريجياً وقف رتلي لما بدا من أشجار البرتقال فانصرفت عنها
ومسيرة الحذر فولت إلى شجرة مثقلة بالبرتقال ذات
منظر بهي وعبير ذكي.

حلم ٤٦١

رأيتني في بهو استقبال يجمع بين أهلي وأهل خطيبتي وجئنا
إلى المأذون بعد دفتره ليعقد قراني وإذا بخطيبتي تنتزعها
غرفة ويتلقى من الأرض متحسساً الجدار فترتعش الأطراف
لما رأت العاملين من الأرغفة وتحول من فيها فهرع إليها
أصدقائي وحملوها وذهبوا بها إلى الكنيسة ولاح لهم حسرة
خانقة لا شفاء دونها.

حلم ٤٦٢

رأيتني أستجمع شجاعتي لأصارح أهلي بأنني قررت الزواج
من ج. التي هي خادمة في بيتنا مع أمها فذهلوا جميعا فالبنت
أمية مسيحية الديانة وأقرب إلى القبح في شكلها ومن عجب
أنها لم تجد بعد المحروقة ونشبت مشاجرات بيني وبينهم
أخيرا انتهيت بهجرها فأصابتني لعنة راسية في كراهيتي وكراهية
لنفسي الدوام ودامت بي إلى الأبد

حلم ٤٦٣

وجدتني في قافلة ضخمة نسير ثلاثة صديقي ل ك وإلى يمينه
شقيقته التي أحبها وأنا إلى يساره وما زلنا نسير ونتوقف
ويتقدم بنا العمر

حلم ٤٦٤

رأيتني أستيقظ على صوت المسحراتي ودقات طبلته ولما نادى
صحت وإذا به يتنقل من موضع إلى موضع ولم يعثر على أحد.

حلم ٤٦٥

رأيتني في حقل تحيط به أشجار الحور والجميز والشمس
تتوسط السماء وعندئذ ترتفع غمامة صوبها رويدا رويدا
حتى تغطي قرص الشمس ويعم الظلام وتتلألأ النجوم
وتختفي البيوت
طلع البدر علينا

حلم ٢٦٦

رأيتني في الميناء حيث ترسو سفينة النزهة في انتظار الركاب ومالكها تشترط أن يكونوا متزوجين وأن يصحب كل زوجته وعلم صديق لي فأخذني إلى مسكنه وزوجني من شقيقته العانس ورجعنا إلى الميناء فوجدنا المكان خاليا ورأينا السفينة تبحر في أفقه والزوجة التي تزوجتها عن غير رغبة تتبادل ... أما أنا فأتخبط في ظلام الحيرة

حلم ٢٦٧

وجدتني شحاذا في الحي ... ورحت أتسول في المقاهي ... ببعض ... العنبرية من الجزائر ... بأزواد ما ... ثم طلبوا من النادل ... فمضى الرجل وهو يبديها عطفه الشديد ونفسي ... من رزقه.

حلم ٢٦٨

ورأيتني أرى في المحكمة الأولى من ... بعد صبر طويل وأجد في يدي تكاليف الزواج فأذهب إلى خالي وأطلب يد ابنته ولكنه اعتذر لي ... زواجها من آخر وقال لي: إنكما متساويان في كل شيء إلا أن الآخر كان يدخر ... وتحمل كل تكاليف الزواج فعرفت أنه ... شعر بالمسؤولية وأردت أن أسأله عن رأي ابنته فقال لي إنه صاحب الرأي وأدرى بمصلحتها.

حلم ٢٦٩

رأيتني أخطط في بيت قديم وعمارة وأدركت أنه ... وأنه ستكون كارثة ... الذهب فازدحم كل شيء في المباني فكنت أنا ... الفاسد في كل شيء..

حلم ٤٧٠

رأيتني واقفاً مع فتوات ننتظر حتى جاءت الزفة والعروس والمزمار والمغني يغني يا ليل يا عين ... غرابيب والله غرابيب فوجئنا على الرصيف ولمحت الفاتنة صوتية ... وحركة ... ونقصت الزحمة وهنا ... ورأيت تمضي في العصر العش بين الجنان والمرح ... وتمتمة الفتى والمعجبون بالأخضر مسرنا صبية.

حلم ٤٧١

رأيتني في مخدع النوم وتزورني الحبيبة ساعة ونتحدث عن ذكرياتنا القديمة ونتبادل الحب ثم تودعني وتنصرف ويجيئني من الخارج صوت يتشقق ... وتنشب بين المرأتين معركة كلامية.

حلم ٤٧٢

رأيتني صبيا مع أمي ونحن في فناء البيت نعد الطيارة الورقية للطيران وأطلق على قاعدتها المزخرفة وعصفورة في جزء منها ثم ترتفع صعوداً صعوداً حتى تبلغ أقصى مدى فيتاح لي أن أرى الحي من فوقها مثل الأسطح ومآذنها من زجاج وأرانب ... بمشاهد ... البيت ... الأعالي ... ونقلوا أمي الحكومة الكريمة تعديلات الزمن بيده ... وصوحت كل شيء قديم فأمسى ... تعديلات الزمن بيده ... وصوحت كل شيء قديم.

حلم ٤٧٣

رأيتني في حجرة مكتبي وفجأة أنام وأحلم أني في بيت ... وأنه يتقدمون ... كل صباح ... المسكن والأثاث ... في حجرتها ... الحب فتغمرني سعادة شاملة وأفقت وتلفت صوت ... النوم والحلم وتذكرت أن ... تخضع ... في نصفها ...

أرك أمير ... غير ...

حلم ٢٧٤

رأيتني أستقبل في بيتي الترحاب مع الناقد الكبير وصديقي الزعيم
مع ماركسيته إلا أن نقده اتسم بالموضوعية ولذلك كان من النقاد
الماركسيين الوحيد الذي أنصف أدباء ليبراليين وقلت له أن
يعمد الشرح فقال حدثني عن صورته الغرب وعلمه بالنقاد
قديمه وحديثه ورجوته أن يسمعني صوته وراح يغني
آه يا سمرا آه ده زاد وجدي آه ده والقلب مال مستجيرا إلى
إمتى الجميل يصنع جميل وأفرح وأترك حبي لك
فطربت طربا عظيما وأرضينا الليل فتنقلنا بين الأدب والنقد .

حلم ٢٧٥

رأيتني مشتركا في الاحتفال بمولد الحسين رضي الله عنه وقد اكتظت
الميادين والشوارع والحارات والأزقة بملايين البشر وفجأة
تخطف الحدث وجه محبوبتي ع فخطفت أمواج البشر نحوها ولكنها
ضاعت مني في الزحام ورحت أبحث عنها حتى أعياني البحث
وعندما هبط علينا صوت الشيخ محمود رفعت يؤذن لصلاة
الفجر فقرأت الفاتحة .

حلم ٢٧٦

رأيتني مشاركا في سباق الدراجات الذي يبدأ من العباسية وينتهي عند
بيت الأسرة وفزت بجائزة لكن عند تسلمها قلت أبا فرس ولباقة
منحك الرياضي الجليل بقوله [illegible] العجيبة الصرامة في القول [illegible]
في العمل وأنت تقدم الحبة بين اثنين فكان الفائزون
ومع ذلك احتفظ بذكرى الجائزة داخلها لعشرين كلماتها

حلم ٢٧٧

رأيتني في الستين من عمري أمام البيت القديم وإذا ببائع
الحلوى المعاصرة ينادي فعرفته وأعطيته مليماً فأخذ قرصاً
من الحلوى المقررة حول رأس عصاه الطويلة وجذبه
برشاقة حتى صارت خيطاً وجعله كهيئة الحمار الصغير
وجنح جناحيه والطائر طار فاستطيبته وحركت الجناحين
فطار بي في الفضاء وتعرفت إلى وهو يبحث لي وراء
حدودي تكسر هذا جزاء إرسالي كل صباح إلى الكتاب وتركته
يشيع الكتاب مع تاريخي وإذا بي أنا من أتجول بين
الكواكب والنجوم.

حلم ٢٧٨

رأيتني مع أجيال مدرسة الحي بين شباب اللعب ستة وفي القرية لاح
لي صديقي المرحوم ن ف تجمعت تحوم بشوق ولكني لم أتعرف إليه لأني
رأيت وجهه متجهماً فأثرت تذكيره في حديثه عن حافظنا حتى
ترحلت أنا وهو وحوله وشقيقته مرة الثانية وقلت له تعرف أيام كانت
صبرا أمامك حياتي فقال في غشوة لكنها كانت أقصر أيام حياتي
عندك مع حبيبه خمسة فتوالت الذكريات وتركت مخربة تتطاير وكأنها
الطلقات النارية.

٢٧٩

رأيتني في الخمسين من عمري وأنا وحيد وتعرفت بالسيدة من
وصف طلقة فنترك حبيبي للزواج وبعد الرحلة قالوا لي منع
نصف له الزوجة انتظرها وقال أخرى أهذه من تعرف الزواج الآن
ينبغي صاحبة وترددت بين الرأيين وازدادت حيرتي ولكن حبي
للزواج لم يهدأ فذهبت أسرا أطلب يدها ووجدت نحو كأنني الكافية
الذي تلقى فيه الحارة وفرشة العزوبة مهرت تطلب يدها ولما
لاح لي أنها تريد انتهزت فرصة واحتضنتني بلغة في الهروب لا تقاوم
واستمرت فرجعت معها إلى البيت وعرفت حتى نهاية العمر.

حلم ٤٨٠

رأيتني مزاحماً كبيراً ولكني أتردد كثيراً على بيت بجوار الغبار
وإذا بالزحلة تقتحم ولبد قبضا ورق السيجة خرجت لأتفتح
متخفياً محضرة عرفت بالتظاهرة وجهورة مشروباتها وقد كتبت على لافتة
في أعلى مدخلها "لا تشغل البال بماضي الزمان ..."

حلم ٤٨١

رأيتني بالإسكندرية أنا والمرحوم وذات يوم رأيت صديقي الشرقية تخ
تسير بصحبة شاب وراحا يستحمان في شاطئ البحر وأنا أترك
لنفسي خفيف الروح بينها حب يرش العين والحاجب.

حلم ٤٨٢

رأيتني عجوزاً وحيداً يتجول في حديقة المنتزه وقد استحممت في البحر
ثم جلست في كازينو فنسيا وحدي أترنم بهذه الأغنية

من قرابة كنا هنا
من مدة غابة ولدنا
أيام ملكنا لبعضنا
والرقص فاض لنا

حلم ٤٨٣

رأيتني عضواً في لجنة الطلبة الكاملة بجمع التبرعات للأزهر
يعطينا الشهيد في آخر مظاهرات وانشغلنا بمد الحملة إلى مكان
حتى وجدنا أنفسنا أمام قصر أحد الكبراء فدخلنا الحديقة
وصففنا بأسره ولكنه لم يظهر وكنت قرأت خصيصاً ولدى النهر
فأخذت أريد المقطع الذي يبدأ "أم غشك الوزن" أنشد
أمامهم فطار وتبدل جمالهم وفرحنا بأيديه

حلم ٤٨٤

رأيتني في المراكب الصغيرة في الفسحة وكنت ميالا للحرية والفسحة
حتى عرض علينا قبطان سفينة الصيد السمين وجربت معه
إجادة الصيد والسباحة فما فترت عزيمته ونشطت حركته
منتشية ببهجة وسعادة للسفر معهم فالتف الغريب [illegible] مركب
الفكر حتى شاهدت الشمس وقد أشرقت على زرقة الأمواج.

حلم ٤٨٥

رأيتني في الساحة الواسعة الذي يسير بين مدينة المرحوم والسيدة ونزل
الشيخ الذي حدثنا وقفت أمام في وسط الزحام منتظر إليه
المرحوم [illegible] فرحبت به وقدمت له ورقة تشي لحكم في
مسألة [illegible] في أمر شائكة التي تنتظر
منذ [illegible] بيني وبين إحدى الجهات في حي الزمالك وطلبت
المشورة مع وجهه وصدري لا أعرف؟ إذا أنشر إلا حكم
هذه العلاقة السخيفة.

حلم ٤٨٦

رأيتني في ترام يخترق الزحام ويجلس أمامي رجل في أواسط العمر
يحمل المصحف ويمسك بيده عصا [illegible] في العاشرة [illegible]
[illegible] فقلت له احتفظ بشبابك وأنت تغني أمام الجمهور
والتقط بيده [illegible] فغنى الصعود
على دول يا أمه على دول
فقال له الرجل أحسنت ولكن أسرتنجى أيضا أمام
جمهور الجنازة

حلم ٤٨٧

رأيتني في شارع طويل يمتد تحت مظلة من الأشجار وإذا بأجنبي
يراقب فتاة من بعيد وكان ثمة شاب طويل عريض يجلس على
ربوة خضراء فقام وتبع الخواجة حتى صار خلفه وتدبيره يعبث
بالمواضع الحساسة في الفتاة فغضب الخواجة والتفت وراءه
متحرشا بالقتال ولكنه فوجئ بطول الشاب وعرضه فآثر السلامة
وأصبحت الخصومة بين الفتاة وعرفت نحو الابتسامة الأولى ولم
يسع الخواجة إلا الانسحاب وتابعت أنا ما يحدث سعيدا في الشارع
أو في الربوة الخضراء.

حلم ٤٨٨

رأيتني في مسجد سيدنا الحسين رضي الله عنه وبعد صلاة العشاء تجمع
جمهور لا يحصى عدده لسماع الشيخ علي محمود وصحبتني لحضرة الأناشيد
الصوفية وهب الشيخ صائحا بالحرقة واستعد للغناء فساد الصمت
ثم انطلق صوته كعزف الكمان وابتدأ بأن غنى:
رأيت الهلال ووجه الحبيب
وما زال ينتقل بنا بين القصائد وأخيرا شدا حتى غنى:
كيف ترضى مقبلة الأمنيات
ثم ختم بالصلاة على النبي وغادرنا المسجد ونحن سكارى من
الطرب.

حلم ٤٨٩

وجدتني ضمن مجموعة من الرجال والنساء في حديقة الدير وخاطبنا أكبرهم
سنا قائلا: أصدقائكم في عالم الروح من حقكم إقامة طويلة ومنه
سترون الكون بفضل تأملات وتقدمنا بين الحديقة والمكتبة ونحن
نستلقي شذى الأزهار ونستمتع بالهدوء العميق.

حلم ٢٩٠

رأيتني أحكم بالمسابقة عن أحسن مسرحية وزارني بعض أعضاء اللجنة المكلفة بالفحص أن يعطيني من الليل منعًا لهزم الذي ما لقاه بين أصدقائي في مقهى الأوبرا، ولكنني رفضت هذا وقلت إن صداقتي قد تمنعني من قول الحق وظهرت النتيجة في وقتها وكان من الفائزين بالإجماع وكانت المسرحية الأقرب لشيء جديد وتبين أن المسرحية متميزة في عمق أفكارها وجمال بنائها وبلاغة أسلوبها.

حلم ٢٩١

وجدتني في القاهرة تحدث أحداثًا وسرى نبأ بأن الحكومة تعد مشروع قانون ذي أثر رجعي يحرم على النساء العمل وينشئ لهن تعليمًا خاصًا يعدهن لشئون البيت وتربية الأطفال وترك الموظفات أعمالهن وتظاهرن حتى تعطلت الحياة في القاهرة وجاء رجال الأمن ولكن لم يفوتوا الفرصة وقذفت أحداث وخلفت مستشفى ضحايا حتى أعلنت الحكومة في إذاعة عاجلة لتطمينهم بأن ما وقع بين الناس ما هو إلا إشاعة كاذبة ورجعت المتظاهرات إلى أعمالهن بهدوء والحيرة تكتنفهم في أسباب الفتنة.

حلم ٢٩٢

هذا هو الأمير نور الصوت ينسلخ من مستقره كعادته ليسير في شوارع القاهرة بعد منتصف الليل وإذا بقوة من الشرطة تحيط به وتمضي إلى المعتقل ولكنه يفلت منهم بطريقة سحرية ويعود إلى مستقره كما يشاء ولكن إدارة الأمن أعلنت أنها قبضت على بعض القتلة وأنه المتهم ودله على الجثة التي يدل بها فقبضوا عليه والتحقيق مستمر.

حلم ٤٩٣

وجدتني في الحديقة الصغيرة في بيتي وأقبل على صديقي القديم خ ل بعد
غياب طويل جداً اعترف لي بأنه أفلس ولم يبق له معرفة بمن
صديق أو قريب. وتذكرت خبراتنا في بيته أيام العز فاقترحت عليه
مزيد من المعارف المحدودة لدار جلسته في الحديقة أنتظر تراني
إلى عزف الرباب وصوت صديقي وهو ينشد لا أنساك يا زهر
رجعت خيبتي

حلم ٤٩٤

وجدتني سائقاً لترام الثقافة وهو يتجه من فرعه للعتبة
أما بائع التذاكر فهو قنطاس صديقي وكانت محطة العتبة تنفتح
أمام بيت العرائس حيث تقام حفلات الزفاف ورأيت عروساً
تخرج من البيت وكانت أخرجها بسرعة إلى الترام الذي يحملها
فدعوتها للصعود فصعدا إلى العربة ثم زوجت الحرامي فأخذ
الترام يسير على مهل ويتبع الفنطاس المياه يغسل الذهبيات
ويرش جانبي الطريق حتى الموقع المتقى وجهه إلى حي
منزل المقابر ورفعنا أصواتنا نغني:
حلوة
حلوة
ولا في الجيب

حلم ٤٩٥

رأيتني في البهو الرئيسي مع جمهور ننتظر أن يعلن اسم الفائز بالجائزة الكبرى
وتردد اسمي وانهالت علي ورود التهاني.

حلم ٤٩٦

رأيتني في زيارة الصديق مصطفى المحسب بالكتاب ثم خرجت إلى الشارع الطويل في الهزيع الأخير من الليل وسرت بلا أي رغبة في العودة.

حلم ٤٩٧

وجدتني أضيق بالزحام والمكان وأتطلع إلى التغيير وعلمت أني لا يعرف منزلك. إشتاق إليه أتذكرينه ولكني صمت. تكشفت لي الأرض مرة عن جانب خفي فانفجرت ثائرة. ثم انفجرت تصب عليّ اللعنات وفي النهاية تعصيها وتقول لي اذهب يا جاحد وسوف تعود متعثراً بالفشل ولكن نسيتها لك عمر العمر وعشرات أم تنفع الندم.


6 221102 016674